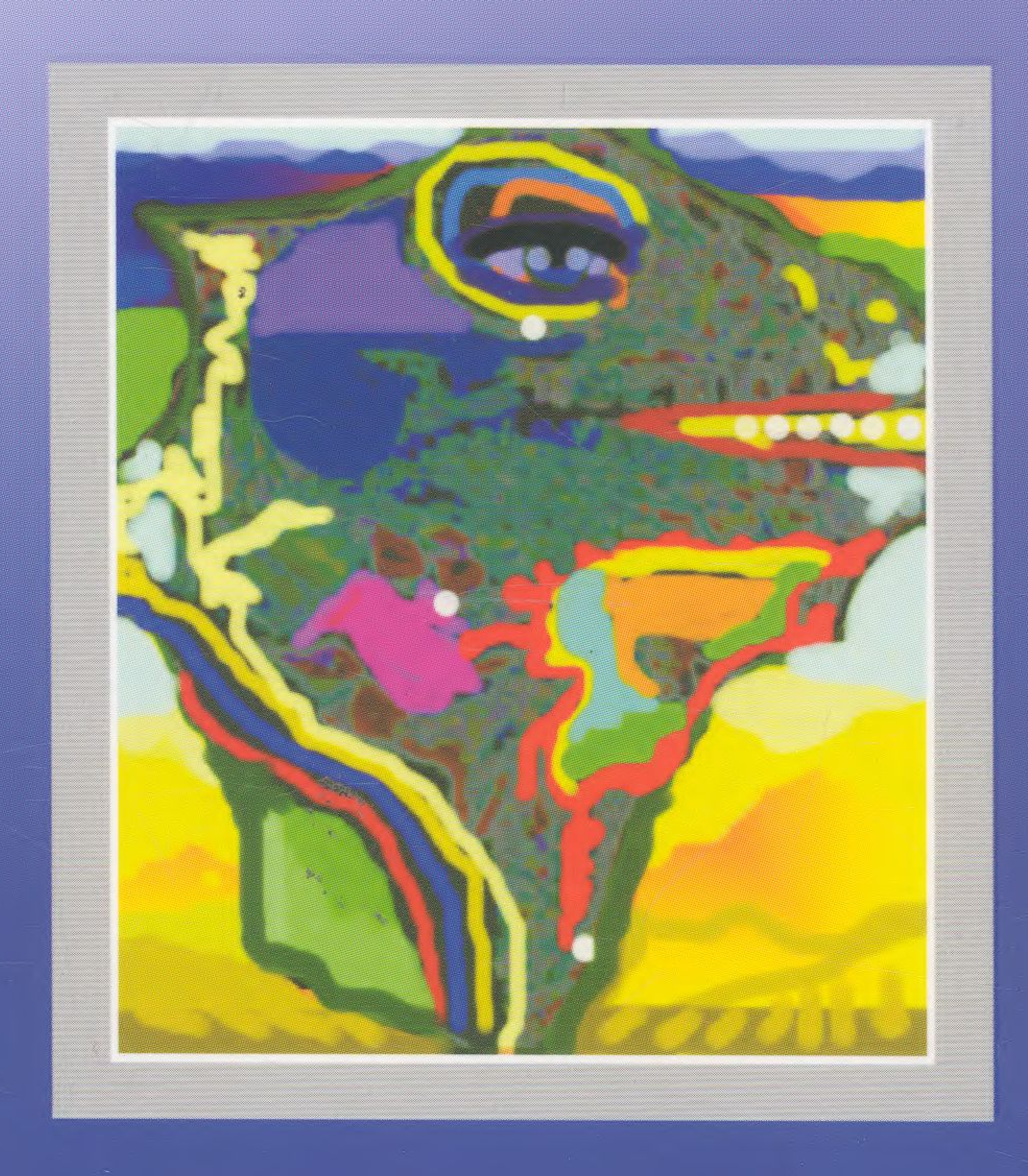


قصص قصيرة



أحمد يوسف عقيلة



الحِرْباء

قصص قصيرة

الحِرْباء

قصص قصيرة

أحمد يوسف عقيلة

الناشر
مجلس الثقافة العام

اسم الكتاب	الجزياء - مجموعة قصصية
اسم المؤلف	أحمد يوسف عقيلة
سنة النشر	2006م
رقم الإيداع	6922 / 2006 م
الترقيم الدولي	ISBN - 9959 - 38 - 072 - 6

تصميم الغلاف	علي العباني
لوحة الغلاف	علي العباني
التنفيذ الفني	عاطف الأطرش - نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فرع بنغازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005 @Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيذ الطباعة

القاهرة ت 0020123140315

إلى روح صديقي..

(عمر سالم عطية)..

احتضنَه البحرُ صباحاً..

وأَعادَه إليَّ في المساء..

ومنحَني لحظةً مُدهِشة:

أنْ أَنفضَ الرمالَ العالقةَ بِصَدْرِه.

أحمد

إضاءات

شدتني لغة المؤلف الطازجة والجديدة.. أسلوب متقشف/مقتضب/رشيق.. لا أجد وصفاً دقيقاً.. لكنه أقرب إلى لغة العلم الوصفية.. أسلوب خال من المحسنات العتيقة.. ولو أردت وصف أسلوب أحمد يوسف عقّيلة بدقة أكبر لقلت إنه أسلوب على درجة لافتة من الاقتصاد.. أقرب إلى تقارير المصارف.. دونما استطرادات أو حشو.. وحتى لا يزعل الأدباء.. دعني أُذَكِّرهم بأن الشاعر الإنجليزي/الأميركي.. شاعر القرن العشرين (ت.س.إليوت) كان موظفاً في مصرف..!

لغة أحمد يوسف عقيلة لغة طازجة.. متحررة من الإنشاء.. وإلى حدٍّ كبير حتى من واو العطف.. فعباراته صُوَر مستقلة متلاحقة.. بل إنه لا يتحرج من مفاجأتنا بنحت جديد للكلمات.. لقد عثر أحمد يوسف عقيلة على إحدى المعادلات الصعبة.. ألا وهي كيفية التعامل مع تراثنا الشعبي دون إسفاف أو سذاجة سردية رتيبة.

(د. محمد محمد المفتي – ليبيا)

لا يلتزم الكاتب أحمد يوسف عقيلة بأسلوب أو مدرسة فنية

محددة في الكتابة.. وإنما يُطلِق العنان لنفسه موظِّفاً كل ما يُمكن أن يخدم النص.. وتلعب اللغة عنده دوراً مزدوجاً في المعنى والإشارة.. وأنَّ بالوسع إعادة قراءة النصوص لتقديم المعنى الثاني خلف السطر.. كما يلزمنا في هذه الحال وضع حسن الظن والسهولة جانباً.

(وديع العبيدي – العراق)

أحمد يوسف.. للوهلة الأولى يلفت نظرك هيامه اللامحدود بالحكاية.. وذاكرته الشعبية المستمَدَّة من حياة المنطقة.. فكل الأحاديث تتحول عنده إلى مجموعة من الحكايات.. اختار هذه الأداة الفنية ليحاول من خلالها إعادة ابتكار تاريخ الذات في تقاطعه مع جغرافيًّا المكان.. ورغم قراءاته الكثيرة للقصة العربية والعالمية.. إلاّ أنَّه لم يمتثل إلى نمطية الأحداث الجاهزة.. أو اللغة المُنجَزة.. ولم يقع في مأزق تغريب المكان أو استيراده.

(سالم العوكلي – ليبيا)

تأْسِركَ قصص أحمد يوسف عقيلة.. ويجذبكَ سحرُها.. بلُغتها الشفَّافة التي ترقَى إلى مدارج الشِّعر في أحيان كثيرة.. مما يجعلها حُبلَى بمعان عديدة.. تزداد كثافتها بكثافةٍ الدلالات اللفظية.. والفائض التصّويري فيها.. فضلاً عن الإيقاع الداخلي الذي يتجاوز اللفظة إلى بنية الجملة.. بل إلى مقاطع متعددة في القصة أيضاً.. كل ذلك يجعل دلالات قصص أحمد يوسف تهرب وتخوننا كلما حاولنا

القبض عليها أو حصرها.. لتُشِعَّ وتُضيء بدلالاتٍ أخرى.. لذلك فمن أي زاوية نظر منها القارئ إلى قصص أحمد يوسف توصَّل إلى دلالةٍ ما.

(المختار بن علي – تونس)

البناء القصصي عند أحمد يوسف عقيلة يعتمد على الحد الأقصى من الصرامة عند التعامل مع النص.. كما يقودنا ذلك إلى تفحُّص الشرائح الصغيرة.. وتفاصيلها الجزئية التي تكمن وراء الحدث الجمالي والإجمالي.. ونلاحظ وبكثير من الأريحية المنبثقة من داخل المبدع تلك البساطة التي يقع في دائرتها.. والتي تغوص عمقاً في عالم من الرؤية المجازية المتداخلة.

(عبد الرزاق العاقل – ليبيا)

المكان النَّصِّي عند أحمد يوسف ليس مكاناً جغرافياً محضاً.. ومَهْمَا كان متبايناً مع الواقع.. ومنسجماً معه.. يظل نِتاج المخيال الخَلّاق.. مجرد استنطاق لواقع مُتخلِّف.. وافتضاض صمته.. غرض الارتقاء به.. وإدانة قِيَمه الفاسدة والمُتفسِّخة.. هذا الاستنطاق يستجيب لوعي القاصّ.. مُستبطِناً خفايا النفس.. غريزة الاستنطاق هنا تنْزع إلى البَوح.. وإلى الباطن الْمُتسلِّح بالأوجاع.

(محي الدين محجوب – ليبيا)

فضاء القرية عند أحمد يوسف ليس مجرَّد خلفية.. أو

مكان يدور فيه القَصّ.. إنه الجزء الأهم بما أنَّ القَصّ يؤكِّد في أكثر من موضع أنَّ الإنسان فقَدَ كل شيء حين فقَدَ انسجامه مع الفضاء المحيط به (الطبيعة).. ونجد أنَّ اتساع هذا الفضاء هو اتساع لروح الإنسان.. وبراءته (هذا الإنسان) مستمَدَّة من براءة الفضاء من حوله.

(محمد الترهوني – ليبيا)

في قصص أحمد يوسف عقيلة تلتقي المقدِّمات.. وتبدأ القصة من كُنه الحدث.. والأشخاص يُقَدَّمون كما هم دون مبالغات.. لقد ترك الكاتب النماذج البشرية تتصرَّف على سجيتها.. مما أَضفَى على القصص روح النكتة وحالة الصدق والعفوية.

(نادرة العويتي – ليبيا)

أحمد يوسف عقيلة راصد القرية والطبيعة والحيوانات والحشرات والأشجار والظِّلال.. وما لا يخطر على بال حتىّ (الزَّرّادة).. الزّارِد الأبدي في جغرافيا المكان والناس والأشياء.

(نجوى بن شَتوان – ليبيا)

***

الـرَّغْـيف

1

... أحسَّ الرغيف بأن أطرافه بدأت تشتدّ.. وأخذ اليباس يعلو وجهه.. لكنه ظلَّ مُعتصِماً بصمته.

قال التنُّور.. بعد أن نفخ نفخةً طويلة بفعل الصهد:

- لماذا هذا الصمت..؟ حدِّثْني ما دمنا ملتصقَين إلى هذا الحَدّ.. أم تنتظر حتى تنضج فتصبح طعاماً..؟

- هذه مسألة لا فكاك منها.. لكنَّ ما يشغلني هو أنني لا أعرف من نصيب أي الأفواه سأكون..؟

- بَسِيْطَة.. إذا كنتَ أحمرَ مقرمِشاً فستكون من نصيب الحسناوات.. وإذا كنتَ رطِباً فستلوكك العجائز.. أمّا إذا احترقتَ وعلاك السواد فستأكلك الكلاب.. أو الراعي في أحسن الأحوال..!

احتجَّ الرغيف:

- هذا مَيْز عنصري.. أنا رغيف سواء كنتُ أحمرَ أو أسود.

- رغم أنني كتنُّور ضد المَيْز العنصري.. إلا أنَّ هذه هي الحقيقة الموجعة للأسف.

- مَن يدري.. قد أقع في فم أحد الجنرالات.. تُرى هل معدة الجنرال تختلف..؟

- دعْنا من هذا.. وقل لي: لماذا تلتصق فيّ بقفاك..؟!

- المصادفة وحدها هي التي جعلت من هذا وجهي وذاك قفاي.

- يا لها من رحلة ستقطعها بين الفم والقفا..!

- أتسخرُ منّي يا قبْو النار..؟

- أنا لا أسخر أيها اللصيق.

- مَن تظنّ نفسك..؟ أنت مجرد فم أسود لابتلاع الحطب.

- وأنت لستَ أكثر من قَتّان.. لزج كالحلزون.. يبدو أنهم قد عجنوك بخميرة النكد..!

... غَضِبَ الرغيف.. ازداد تكوُّراً.. وتحصَّن بصمته.. فيما كان التنور يتساءل عن الحُمرة التي بدأت تغزو أطراف الرغيف: هل هي بفعل النار..؟ أم بسبب الغضب..؟

2

قال التنور محاولاً ترطيب الأجواء:

- نحن نشترك في أمر مهم.. أنت قُرص.. وأنا مجموعة من الدوائر من الفم إلى القاع.. ألاحِظ أنك بدأتَ تفقد بياضَك.. ومع أن سمائي ليست زرقاء.. بل هي أقرب إلى السواد.. إلاَّ أنك أصبحتَ كالبدر..!

- أُحسُّ بالنضج.

- هذه نهاية الطريق.

- ماذا تعني..؟

- هكذا هي حياة الأرغفة.. قصيرة.. تمام الأشياء يعني بدايتها في النقص.

- أهذه حكمة التنانير..؟!

- انتظار النهاية لا يُغيِّر من الأمور شيئاً.

- وماذا بوسع رغيفٍ مثلي أن يفعل..؟

- هناك طريقة واحدة لتأخير النهايات.. تخَلَّ عن صمتك.. ما دمتَ قادراً على الحَكِي فإنك لن تموت.

- لكنَّ حكايتي قصيرة.. محدودة.. منذ أن دفنوني حبَّةً في التراب.. إلى أن أَلْصَقوني بك.

- أنا أيضاً حكايتي قصيرة.. منذ أن كنتُ في الوادي حجراً من المرمر.. لكنَّ هذا لا يدعوني إلى الصمت.. ثم إنّ حكايتك أزلية.. منذ

تلك الحَبَّة التي أنبتت سبع سنابل.

3

... حَبَت الجمرات.. دفنها الرماد الأبيض.. أخذ الرغيف يروي حكايته.. ويروي:

تهطل الشآبيب.. أصابع سماوية تمسح يَبَاس الحقول الحاسرة التي خدَّدتها المحاريث.. ينتشر فَوح التراب المُبلَّل.. تتموج السنابل.. تصفرّ. تصدح قُبَّرات وجنادِب.. أغمار.. أَجْرَان.. صهيل.. غِلال.. مطاحن.. أحسَّ بأن العمر مهما طال وامتدّ.. فلن يتسع لحكاياته.

تعاقب الليل والنهار.. بدت السماء كحقلٍ أزرق يومض بألف زهرة.. تناسلت حكَايا الرغيف.

... هطل المطر.. أعشب التنور.. ومن تحت الرماد نهضت سبعُ سنابل..

***

(2001)

خَطّ أَحْمَر..!

خ

.. مَرزوق يلهث.. ينبح.. موجِّهاً نباحه إلى الغراب المرتكز فوق غصن البلُّوطة الأجرد.. فردّ الغراب بإيقاعات من الغاقات: (غاق.. غاق.. غاق).. وهي تعني: (أنت مجرَّد جرو صغير لا يستحق الاهتمام.. عاجز.. جسدك ضامر.. قوائمك قصيرة.. بينما أملك أنا جناحين).. وقد قال كلَّ ذلك في ثلاث غاقات فقط.. فهذه هي بلاغة الغربان..!

يقترب مَرزوق.. يضع قائمتيه الأماميتين على ساق البَلُّوطة الخشن.. يحاول بيأس أن يتسلَّق وهو ينبح.. فطار الغراب وصاح بانزعاج: (غاق.. غاق).. وهي تعني على الأرجح: (تفو على الكلاب..!).. ثمّ مَدَّ جناحيه فوق الريح.

ط

... يتطلَّع إلى قطيع الماعز. الراعي في الخلف.. الكلاب في المقدّمة.. والتيوس في الوسط.. انعطف تجاهه أحد الكلاب بسحنة غاضبة.. فأخذ موقف الدفاع.. دار حوله الكلب وتشمَّمه من الخلف..

ثمّ حرث الأرض بقوائمه الأربع.. ومضى يلهث.

أعجبته هيأة الفحل المَهيبة.. لكنّه لم يعرف ماذا يفعل الفحل بالقرنين.. وفكّر: (يبدو أنّ القرون زائدة عن الحاجة.. فالتيس يظلّ تيساً حتى بدون قرون).

مرَّ بالقُرب من قطيع آخر.. حرص على ألاّ تراه الكلاب.. ألقى نظرة فاحصة.. واستنتج أنّ الرّاعي وكلابه وتيوسه من لوازم أيّ قطيع..!

تشمَّم الأرض.. فاكتشف أثراً لبول الكلاب على شُجيرات الشبْرق.. فمضى لاهثاً وهو يفكّر: (أينما وضعت أنفك اصطدم برائحة كلب أو تيس .. إنَّ عالماً مزدحماً بالكلاب والتيوس إلى هذا الحدّ هو بلا شك عالم يبعث على...) .. قطعت عليه أفكاره عَضَّةٌ في مؤخّرته من أحد الكلاب.. فأطلق عواءً حادًّا.. تلَوَّىَ حول نفسه.. وألْصَقَ مؤخّرته بالوحل البارد.

أ

... أخذ يلعق العشبَ النديّ.. فلسعه نبات الحرِّيق.. وأخذت ذبّابة خضراء تطوف حول أنفه.. ثم التصقت بوجهه.. فنفض أُذنيه بفرقعة.. وشتم العالم الطافِح بالمزعجين.. انتحى جانباً.. أقعى.. وبدأ يفكّر: (هناك أشياء كثيرة في هذا العالم غير مفهومة.. لماذا لسعني العشب.. ولماذا بقيت وحدي.. ولماذا حشروا إخوتي في كيسٍ وأخذوهم

بعيداً.. ومنذ ذلك المساء لم أرهم.. صحيح أنني في تلك الليلة ارتويت من الحليب.. لكنّ أُمّي لم تنم ليلتها.. أنا أتذكّر ذلك جيداً.. كانت تقف من نومها فجأة.. حتى إنني شعرتُ بالبرد.. وفي الصباح ظلّت مُمدَّدة بلا حراك.. ثمَّ جاءوا في المساء وجرُّوها من ساقيها الخلفيتين.. انتظرتُها طيلة الليل ولم ترجع.. كم أَكْرَه المساءات..!).

ح

... مشى على حافّة الطريق الترابي.. مُتحاشياً البِرَك والأماكن الموحلة.. أمالَ رأسه يميناً وشمالاً متأمِّلاً صورته الباهتة في البركة العَكِرة.. تطلَّع إلى الضجيج.. نبح نباحاً متواصلاً على السيارة المسرعة.. فأطلقت نباحها أيضاً.. قذفت في وجهه المياه العَكِرة.. وبقَّعتْه بالوحل قبل أن تختفي وراء المنعطف.

م

... ابتعد عن الطريق.. استلقى باسطاً ذراعيه بالقرب من شُجيرة بَطُّوم.. أغمض عينيه وبدأ يحلم.. حلم بأنّهم بنوا له وجاراً واسعاً نظيفاً.. بسقف أحمر مُحدَّب.. وأصبح بإمكانه أن يتفرَّجَ على المطر لأوَّل مرَّة دون أن يُصاب بالبَلَل أو يُلطِّخه الوحل.. ويستطيع أن يستلقي دون أن يركله أحد أو يَنهشه في مؤخِّرته.. وإذا مرُّوا بالقرب

من الوجـار مشوا على أمشـاط أقدامهـم حتى لا يوقظوه..! بل وقدَّمـوا لـه حسَاءً ساخنـاً يتصاعد منه البخـار الحارّ الشَّهيّ.. وتعوم فيه قِطَع اللحم.. وقد كـان يعتقد أنّـه من غير المعقول أن يُقدِّموا لـه هَبْرة.. أخذ يلـغ الحسـاءَ على مهل حتى لا ينفد بسرعة.. وترك قِطَع اللحم العائمة تحت غُلالـة البخـار إلى أن تزدحم في قـاع الطبق.. وفجأة.. صَدَمَه شيء بعنف في مؤخّرته.. فنهض مذعوراً.. وقبل أن يتلقّى اللكزة الثانية من الحـذاء قفـز عاويـاً.. نظـر إلى بُقَـع الوحـل المتيبّسـة عـلى سـيقانه وجانبيه.. وعبثـاً حـاول اسـتعادة حلمه الحسـائي.. أحـسَّ بأنّـه كـان سلوكاً خاليـاً من الحكمـة.. بـل وحماقـة.. أن يلـغ الحسـاءَ عـلى مهـل.. وينـتظر حـتى تتراكـم قِطَـع اللـحم في القـاع.. وأَسِـفَ لأنّـه لم يـزدرد ولـو هَبْرة واحـدة صغيرة.. لعـق جوانـب فمـه.. لعلـه يجد في لعابه أيَّ أثـر للحسـاء.. ثـمّ قـال مُعـزِّياً نفسـه: (أكـل الـهبْرة عـلى كـل حـال لـيس ممتعـاً.. فأنـت تـزدردها مـرَّةً واحـدة.. وتـبقى صـفر الفـم والـيدين.. أمّـا العظمـة فهـي تـبقى بـين أسـنانك فـترةً طويلـة.. وتمـنحك مُـتعةَ القَرقضـة... وإذا اسـتطعتَ أن تكسـرها فأنـت تجـد فـيها شـيئاً مـن الداخـل يمكـن لَعقـه.. لكنّ البشر للأسـف لا يكـتفون بسـلخ الـهبْر.. بـل يكسـرون العِظـام أيضـاً.. يمصُّـونها.. يتركونهـا مُجـرَّد أنفـاق خـاويـة.. وأحـيانـاً يـرفعونها بيـنهم وبـين الشـمس ويـتطلّعون بعـينٍ واحـدةٍ إلى حَوائهـا من الداخل..!).

ر

... أَقْعَى.. أخذ ينظر إلى غربان المساء تطير مُتأنّية في دوائر. تعبر بينه وبين الشمس مُنحدرةً إلى الأودية.. أحسّ بالألم في ظهره.. وأدرك أنّ الأحذية التي تركل المؤخّرات تركل الأحلام أيضاً.. وحدَّثَ نفسه: (تكون سائراً على جانب الطريق أو نائماً في أمان الله.. وفجأة يتشممّ أحدهم مؤخّرتك أو يعضّها أو يركلها.. لا أدري متى يأتي ذلك اليوم الذي تكون فيه المؤخّرات خطّاً أحمر..؟!).

تثاءب.. نبح نبحتين في الفراغ.. أحسَّ بأنهما خاليتان من المعنى.. لا تليقان ببلاغة الكلاب.. فينبغي قبل كل شيء أن يُصغي إلى نباحك الآخرون.

كان جائعاً.. مقروراً.. مُلطَّخاً بالوحل.. فاجتاحته رغبة في أن ينبح على أحدٍ ما.. تلَفَّتَ في كل الاتجاهات.. نهض.. وأخذ ينبح على لهب الغروب خلف سواد الغابة.

***

(2005)

امْرَأة الحِكَايةِ!

ا

... تقول الأسطورة عندنا: (في السماء غِربالٌ ضخم.. حوافُّه العليا تختفي خلف سواد الغَيم.. وعندما يغصُّ بالسُحُب.. وتتلقلق بين حوافِّه المياه.. يهتزّ.. يرقص.. فتهبط الشآبيب.. رَشَّةً رَشَّة.. صافية.. نقيَّة).

ل

... ذيول الضباب تتلاشى صاعدة.. فتشفُّ عن غابةٍ مقرورة.. وصخور لامعة.. تقطر حوافُّها.. وطُرق جبلية متعرِّجة عبَّدتْها أقدامُنا.. وفوق الضباب سُحبٌ سوداء.. بِيضُ الحوافّ.. تُعانِد الريح.

ن

... في الصباح الباكر نصعد الجبل المُعمَّم بالغيوم.. حُزمة من الأطفال تحملنا الدهشة.. نتسابق لرصد الغربال لحظة اهتزازه.. مع اقترابنا من رأس الجبل بدت السُحُب تحتنا.. أغشية رقيقة فوق تعرُّجات الأودية.

س

... على رأس الصخرة في قمّة الجبل فوجئنا بامرأةٍ تجلس.. رداء بلون السماء.. شال بلون الغيم.. ووجهٌ استعار إشراقه من الماء والليالي المُقمرة.. حين أبصرتنا ابتسمت.. مدَّت يدها إلى طَرَف المزنة.. سحبت خيطاً.. وشرعت تنسج.

ا

... في وقوفنا الذاهل.. جاء صوتها الدافئ:

- اقتربوا.. أنا الناسجة.. نسّاجة الغيم التي تعرفونها في حكاياتكم.. ألم يُخبروكم بأنني موجودة بالفعل.. الحَكايا ليست مجرَّد حَكايا.. إذا كان العالم هو كل ما تلمسونه وتُحسُّونه فقط.. فما أضيق هذا العالم.. كنتُ أعلم أنكم ستأتون لرؤية الغربال.. اقتربوا.. خذوا هذه المعاطف.. معاطف بيضاء في نصاعة الحليب.. وأخرى سوداء مُبطَّنة بالأبيض.. هناك قمصان أيضاً.. ليس المُراد من السحابةِ الأمطارُ.. أنا أختصر الأمر.. أنسج لكم من المُزْن مباشرة.. عندما تعودون إلى قريتكم.. ستجدون أنَّ معاطفكم وقمصانكم قد اعشوشبت.. اخبروا أمهاتكم وأخواتكم أنَّ مَن تأتيني ساعة الغروب فستحصل على رداء بلون الشفَق.

ج

... في اليوم التالي كنّا جميعاً نلتفُّ حول الناسجة.. حتى العجائز اللاهثات استطعن ارتقاء السفح الوعر.. يتأمَّلن بدهشةٍ الشالات التي ينبت عليها العُشب.

ة

... في لحظة انهماكنا.. اكتشفْنا فجأةً أننا مُسيَّجون بالعساكر المُدجَّجين.. بنادقهم مُصوَّبة نحو النسّاجة.. وفي لحظة فاصلة.. بَرْزَخيّة.. لحظة اشتعال شهوة البنادق.. يلفُّنا الغيم الأسود.. وما إن ينقشع حتى تبدو الصخرة اللامعة.. وقد غادرتْها امرأةُ الحِكاية.. كنّا مُبتهجين بالمعاطف.. والقمصان.. والعُشب النامي على أكتافنا.. هذه هي المرَّة الأولى التي نُحسُّ فيها بعجز العساكر.. رفعنا وجوهنا إلى السماء.. حيث اختفت امرأة الحِكاية.. لازلنا حتى الآن نسمع حفيف ردائها في ثنايا الغيم السابح.

***

(2001)

العُـــشّ

ق

... حقـل الشـعير بحـرٌ أصـفر يـتموَّج بوشوشـةٍ تحـت الـريح الخفـيفة.. آلـة الحصـاد الخضـراء (جـون ديـر) تقـصُّ مقطعـاً عريضـاً بطول الحقل.

ب

... عُـشُّ القُـبَّرة مُمـوَّه بعـنـاية تحـت السنـابل الصـفراء.. مغـزولٌ بـالقَشّ.. مُؤَثَّـثٌ بـالـريش.. مسكونٌ بـالدفـء.. أربعـة عصـافير في لـون التبن.. تفتـح منـاقيرها لكل زقزقة أو رَفَّة جنـاح.

ر

... الإطـاران الأمـاميان لآلـة الحصـاد عريضـان.. مضـلَّعان.. المـنجل الـدَّوّار يلـوي أعـناق السـنابل.. يلفُّهـا.. السـكِّين الحـاد

المتذبذب يجرُّ رؤوسها.. تاركاً خلفه درياً من التبن.. آله الكبس تغرف خط التبن المكوَّم.

ة

... القُبَّرة الأم ترفرف صائحةً بفجيعة فوق العش.. نظرة إلى الأسفل.. ونظرة إلى الحاصِدة.. المناقير الأربعة مفتوحة إلى السماء.. آلة الحصاد تتبعها آلة الكبس تقطرها آلة الحرث.. يضيع صراخ القُبَّرة تحت ضجيج المحرِّكات والدخان الأسود.. الآلات تتقدم.. كُتَل من التروس والأشياء القاطعة.. مخالب وأنياب.. أشياء تجرُّ. تقضم.. تلتهم.. تبتلع.. تسحق.. تدوس.. تهشم.. تدهس.. تهرس.. تسحل.. تكبس.. تُقولِب...

***

(2001)

راعي الفُحُول

١

... السمسار يجسُّ الجديان بكلتا يديه.. يتحدَّث والسيجارة في فمه.. مُغمِضاً عينه اليُمنى نصف إغماضة بسبب الدخان:

- شريتهن بسبعين دينار جملة..؟ نعطيك عشرين دينار عيش.

- يفتح الله.

- خمسة وعشرين.

- يفتح الله.

- ثلاثين.. هذا آخر كلام عندي.

- يفتح الله.. خلِّيهن في المراح.. نرعاهن ونبيعهن في العيد.

- ترعَى خمسين جدي ذكر ثلاث شهور..؟

- نرعاهن.

مسح السمسار لحيته المُدبَّبة أسفل ذقنه.. نافضاً عنها رماد السجائر.. ثم قلب شفته ومضى يجرُّ حذاءه المَفْرُوْك.

ل

الماعز إذا حظي بغابة وراعٍ جيِّد.. فإنه لن يستغرق أسبوعاً حتى يكتنِز بالشحم.. هذا ما قلتُه لنفسي في تلك اللحظة.. ربما حتى لا أُظهر هزيمتي أمام السمسار.

ت

... لم يعد يفصلني عن عيد الأضحى سوى هلال واحد.. وجدياني الخمسون تقترب من سن الفحولة.. أستطيع أن أُسمِّيها تيوساً..!

ي

ظِلال السُّحُب تجري عَبْر الوديان.. فوق مسارب جبلية ضيِّقة.. متعرِّجة.. عبَّدتْها حوافر الماعز.. تمنَّيتُ أن تُمطِر.. حتى تغسل رائحة البول عن فحولي النافخة.. التي لا تكفُّ عن إخراج ألسنتها.. والبول على أنوفها.. حتى إنها في هذا الأسبوع أخذت تُلبلب على بعضها..! رائحة البول المُلتصِق بالشَّعر لا تُطاق.. خاصةً مع ارتفاع الشمس.

و

الرُّعاة يشربون الحليب الطازج المُتوَّج بالرغوة الناصعة كل صباح.. ناهيك عن الزبدة والجبنة.. أمّا أنا فلا أصحو على طَلّة الصبح إلاّ على غابة من القرون المنتصِبة في وجه السماء.. إنني أعيش وسط مَتـْيَسَة كبرى..! تفو.. حتى ذلك الثعلب الأحمر في السفح المُقابل تشمَّم الصخرة.. ثم رفع رجله وبال.. وأكثر من هذا فقد سئمتُ سخرية الرّعْيان:

- كيَفْ حالَك يا راعي التيوس..؟!

س

... ماذا لو لم أستطع بَيع فحولي..؟ هل سأرعاها إلى الأبد..؟ بَدا لي هلال العيد وكأنه لن يظهر أبداً.. وذكَّرتْني لِحَى التيوس بلحية السمسار المُدبَّبة أسفل ذقنه.. المُغبرَّة دائماً برماد السجائر.. أخذتُ أحتُّ قرون الخرُّوب.. فيما تجمَّعت كل التيوس حولي.. شكَّلتْ حلقةً كنتُ مركزها.. تتناطح.. وتتسلَّق بعضها.. اقترب حماري أيضاً ليلُوك بعض القرون الحلوة.. أمّا الكلب فقد أقعى في الجوار.. دسَّ رأسه بين فخذيه.. وأخذ يلعق أعضاءه.. ونخسني أحد التيوس بقرنه.. في تلك اللحظة أحسستُ بالضيق.. والاختناق.. والقهر.. وبرغبةٍ في البكاء.. فتعلَّقتُ بغصن الخرُّوبة.. فانْقَصَفَ من منبته.. وما إن سقطتُ على

ظهري تحت الغصن.. حتى تزاحمت الفحول.. وداستْني بحوافرها الحادَّة.. وخطر بذهني في تلك اللحظة وضع السلحفاة المنقلِبة على ظهرها.. وأثناء محاولاتي اليائسة لتعديل وضعي.. شرعتُ فجأةً في الضحك.. وأنا أنظر إلى تيوسي من الأسفل.. فلم أكن أُدْرِك أنني أمتلك كُلَّ هذا الثراء (الفاحش)..!

***

(2001)

الـهمْزة

1

... قال الأستاذ (أنيس) موجهاً كلامه إلى سكرتيرته:

- اكتبي صيغة إعلان عن اجتماع إدارة الشركة يوم الأربعاء القادم.

ثم تشاغل بالحديث مع ضيوفه.. وهو يتأرجح يميناً ويساراً مع الكرسي الدَّوّار.

2

... الأستاذ (ونيس) مدير شركة كبرى.. يحظى بكل لوازم المدير: مكتب ينطق بالفخامة.. سكرتيرة مصبوغة أمام جهاز حاسوب.. هاتف نقّال.. مرسيدس وصاية من ألمانيا رأساً.

غيَّر اسمه إلى (أنيس) تَمَشيًّا مع الحداثة..! يرى أنَّ العبرة ليست بالشهادات العلمية.. فهي مجرد رُخَص تمنحها الجامعات.. لذلك فهو يفتخر بأنه لم يتخرج من الجامعة.. ويقذف في وجهك (العَقّاد) دائماً كمثل صارم للدلالة على عدم جدوى الشهادات.. ويحشر في أحاديثه.. بمناسبة وبغير مناسبة.. كلمات من قبيل:

(العولمة.. الاستنساخ.. ثقب الأوزون.. سقف الإنتاج.. حَرْق المراحل.. الرعي الجائر.. البروباقاندا).

3

قالت السكرتيرة:

- يا أستاذ أنيس.. في كلمة (الأربعاء) الـهمزة فوق الألف وإلاّ على السطر..؟

يسري السؤال في جسده صاعقاً.. يقفز.. يحس في حلقه بطعم الـهمزة اللاذع.. يحك خلف أُذنه.. يتبدَّى لـه غباء سكرتيرته شيئاً لا يُطاق.. شيئاً ثقيلاً يزحم المكان.. بل يبدو أنفها طويلاً أكثر مما ينبغي.. يبتلع ريقه.. يَشْرَق.. يسعل.. يعطس.. يزحر.. يفتح النافذة.. يرى الأفق يقترب.. السماء تهبط على الأرض.. تتحول كل الكائنات إلى همزات.. همزات طائرة.. راكضة.. زاحفة.. فيغمض عينيه.. يَصفِق النافذة.. يُطفئ المصابيح.. يُشعلها.. شيء ما يقرصه بين كتفيه.. يلصق ظهره على الجدار.. يحكّه.. يسحقه.. ها هي الـهمزة تتحرك من الحلق إلى الصدر.. نازلةً ببطء كالنصل الحاد.. ينحني إلى الأمام واضعاً يديه على صدره.. فتنْزلق الـهمزة إلى الأسفل.. تتغلغل ممزِّقةً الأحشاء.. يتسرَّب من بين فخذيه سائل دَبِق.. يتعثّر بأحد الضيوف.. في تلك اللحظة فقط يكتشف وجودهم.. يُسدِّدون عيونهم نحوه.. أصابع السكرتيرة متوقفة على لوحة المفاتيح.. توقَّفت الساعة

الحائطية.. كفَّت الكرة الأرضية عن الدوران.. يَفْزَع إلى الحَمّام.. يسمع أحد الضيوف يقول بخُبث وشماتة: (الهمزة التي قصَمت ظهر البعير) .. فيحدودب ظهره.. وتنبت له ذروة..! جدران الحمّام تزحف إلى الداخل.. مصباح السقف يكاد يلامس البلاط.. يتهالك.. يَبْرك.. يصرخ بأعلى صوته.. صُراخاً أقربَ إلى الرُّغاء:

خَلِّي الاجتماع يوم الخميس..!

***

(2001)

نزَغات الملائكة..!

ش

... نلتفُّ حول أُمِّي.. كل أولاد وبنات الجيران.. فيوم صنع التنُّور ليس كأي يوم.

تخلط المرمار المدقوق مع (الطّفْلة).. ذلك الطين الأصفر الرطب.. تصبُّ الماء.. تجثو. تطْوي كُمَّها إلى الخلف.. تُكوِّر قبضتها.. تنْزل بكل ثقلها على العجينة.. فتتحوَّل إلى صلصالٍ يُغري باللمس.

تُقرِّبُ صفيحةً معدنية.. ملساء عريضة.. تشرع في تشكيل الدائرة الأولى.. وفي رواح يديها ومجيئهما بين العجينة والصفيحة الملساء يبدأ التنُّور في التخلُّق.

ي

... تبادلْنا النظرات.. كنّا ننتظر هذه اللحظة بالذات.. لحظة انهماك أُمِّي.. وتماهيها مع تنُّورها.. فاختلسْنا قِطَعاً من الصلصال.. وتواطأت البناتُ بالصمت.

ط

... جلسْنا في ظِلال الخرُّوب.. لكلٍّ منّا عجينته.. كنّا فرحين بإمكانية الخَلْق.. فظهرت بين أيدينا خيول.. وأرانب.. وذئاب.. وطيور. نُشكِّل الشيء ثم نعجنه ونُشكِّل شيئاً آخر. استنفدنا الأشياء المعتادة.. المألوفة.. وبعد توقُّفٍ صامت.. اقترح أحدنا أن نصنع شيطاناً.. فبدأ كلٌّ منّا يُجسِّد شيطانه.

ا

... كنتُ أنظر بين فخذيه.. وتساءلتُ:

- الشيطان له عضو..؟

وانهالت تصورات رفاقي:

- الشيطان له قرون.. يعني تيس..!

- مادام تيس له عضو.

- أكيد.. وإلاّ كيف يجيب شياطين..؟

- شيطان بلا عضو ما يقدر يغوِّي حتى نملة..!

تأملتُ شيطاني.. كان لايزال رَطِباً.. يبدو أنه قد خرج لتوِّه من الجنَّة.. تحسَّسته بطرف لساني.. لحسته.. يا لَمذاق الشيطان..!

ن

... اتجهْنا إلى البنات بشياطيننا.. كلٌّ منّا يحمل شيطانه.. ففوجئْنا بأنّ البنات أيضاً سرقْنَ الإبَر وقِطَع القماش.. وجلسْن تحت الخرُّوبة يُطرِّزْن شياطينهن في الظل.

***

(2001)

البَتُــول

(إلى جيلاني طريبشان)

1

... هل سمعتم بصمت الآبار العامرة بالمياه..؟ الصمت المُغلَّف بالعتمة..؟ العتمة التي لم تفتضّها الدِّلاء منذ أَمَد..؟

2

... أنا بئر سبيل في ملتقى الدروب.. دروب المِيراد.. وطرق القوافل.. حيث يُصافحونني بدِلائهم التي تلثم جدراني.. كنت قِبلةً لكل الأحياء.. حتى لطائر الرَّخم الأبيض اللمّاع.. الرخم العابر الذي لا يُعشِّش عندنا.

لا أدَّعي أنني أفعل الكثير.. أنا فقط أستقبل الغيمة التي تَجوب السماء.. أَحْضُنها.. أُذيبُها.. أدَّخرها لكم في أعماقي.. حفنة من الطهارة.. تلامس أجسادكم التي هَدَّها السفر.. وأرواحكم الأكثر ظَمَأً.. فأين أنتم..؟ سئمتُ صفير الرياح في البراري.. أفتقدُ أصواتكم.. وَقْعَ خطواتكم.. وجوهَكم التي تُشرق في عتمتي.. رجفةَ الماء حين ملامسة

الدِّلاء.. أَهَبُ عمري كلـه من أجل (سِلَّيْوَة) تغمس ريشها في صدري.

3

... هل مِن واردٍ يُحرِّك كل هذا الركود..؟ يُجدِّد الدروب الدارسة.. الباهتة.. يبدو أنه زمن الآبار التي تستجدي العطشى.. الآبار التي حادت عنها الطُرُق.. هل كنتُ مجرَّد مَعبَر..؟ كيف لي أن أستقبل المطر القادم..؟ هل سأغدو مجرد كهفٍ مظلم تُعشِّش في سقفه العناكب..؟ يهجرني (السَّلَّيُو).. ويقطنني البوم والخفافيش.. وكل عُشّاق الظلمة..؟ لا أُطيق التحول إلى بركة آسنة.. أنا الحَلَمة الثَّرَّة في هذا القَفْر.. لِمَن أحمل كلَّ هذه الطهارة.. هذه القداسة المُرعِبة.. كَرُعب (العذراء) حين حملت النبي.

4

... الطريق الدارس يلوح كوشمٍ غابر.

حين بدأت المياه تخضرّ. كانت نداءات البئر قد خَفَتَتْ.. فتشقَّق.. وشَرِب نفسه..!

***

(2001)

القَبْــو

ا

... ليلٌ خريفيٌّ طويل.. ظُلمة لزجة.. تسيل في الشِّعاب.. وقيعان الأوديــة.. تــتغلغل في الكهــوف.. في الأجــراف الغائــرة.. في شــقوق الصخْر.. وتحت لِحاء الشجر.

ل

... نقبع داخل بيوتنا.. جاعلين من قطع الأثاث متاريس خلف الأبــواب.. عــلى الــبلاط شمعــة صــغيرة تَجْهَــد لطــرد العــتمة.. وعــلى الجدران أشباحنا المرتجفة تتعرَّج في الزوايا.. قطَّتي البيضاء تتكوَّر قرب اللهب الخافت.. تتسرَّب الظلمة السائلة من الفتحة الضيقة تحت الباب.. نلمسها بحذر.. لزوجة كريهة.. مُوحِلة.. صقيعيَّة.. تنتشر في البيت رائحة الأقْبِية.. والخفافيش.

ق

... ألــواح الــباب تُصدِر صريراً.. تنقصــف.. تــنخلع الــنوافذ..

تندلق الظُلمة.. نطفو.. نتحسَّس.. تقع أيدينا على أشياء عائمة.. القطَّة تجتهد لتُبقِي رأسها فوق المستنقَع.. يقترب السقف.. يتجاوب البيت بضجيج خوفنا.. وزعيق الفئران الطائرة.. وخفق أجنحتها السوداء ذات الملمس القماشي البارد.

ب

... العتمة الرطبة.. المُتخثِّرة.. تزحف ببطء فوق الأجساد.. تحت الآباط.. تُخلِّف بين فَرَجات الأصابع دَبَقاً مُقزِّزاً.. تتسَرب تحت الجلد.. وداخل فضاءات الروح.. تسدُّ المنافذ والكُوَى.

و

... نهض الديكُ مُتلفِّعاً بالظلمة.. مدَّ قامته.. نفض جناحيه.. فامتدت الخيوط السوداء اللزجة من أطراف الريش.. ثُمَّ صاح صيحةً مخنوقةً.. فصيحةً مبحوحة.. فثالثة صادِحة.. طويلة.. أفرغ فيها كلَّ أنفاسه.. فطلع الفجر..!

تلاشى اصطفاقُ الأجنحة السوداء تحت سماءٍ غامقة الزُّرقة.. وعلى العتبة المُشمِسة قِطَّةٌ تُنظِّف نفسَها.

***

(2001)

الحِرْباء

(إلى أمّ العزّ إبراهيم سعد)

1

... ولّى زمنُ الولائم.. منذ شهر بالهلال وأنا في هذا السفح المُجدِب.. لا شيء سوى (بوبرَيص) هزِيل رَحُو الأسبوع الفائت.. في الوقت الذي يزدحم فيه السفح المقابل بالجنادب الصادحة.. لماذا الأشياء الحلوة دائماً على الضفة الأخرى..؟ (بورقَيْص) يحتلُّ السماء.. البومة تتربَّع فوق السد الحجري.. الأفاعي تتمدَّد تحت حوافّ الصخور المُشْرِفة على مجرى الوادي.. والثعابين الخُضْر تترصَّد وسط الزرع.. لكنني سأعبر رغم كل شيء.. ذلك الجندب الصادح يستحق المخاطرة.. مَن يملك رصيداً من الألوان.. وعينين تنظران في جميع الاتجاهات في نفس اللحظة.. فهو لا يملك حياةً واحدة.

2

... ليس هناك ما هو أسهل من التنقل فوق الأشجار.. فأنا أملك اللون الأخضر بامتياز.. بل أملك عدَّة درجاتٍ من هذا اللون..

بما يناسب البلُّوط والخَرُّوب والبَطُّوم والشمَاري.. وحتى شجيرات الدِّرْياس.. ولكن هذه شجرة قَنْدول مُزهِرة.. القَنْدول المُزهِر مُحيِّر قليلاً.. سأصبغ الظهر والرأس بالأصفر الفاقع.. وأترك البطن والأطراف بالأخضر الداكن.. ولكن كيف يُمكنني عبور حقل الصلَيْعَا..؟ مِن أين لي بالأحمر الفاقع..؟ لن أعبر هذا الحقل الدموي.. سأُضطرُّ إلى الالتفاف.

3

... ليتني أستطيع القفز إلى تلك الضفة.. سيكون هذا من باب (حَرْق المراحل).. لماذا تموت كل الأشياء إلاّ المسافات..؟ انتظروا.. ماذا لو عبرتُ فوق هذه السلحفاة..؟ لدي اللون المناسب لهذه القَصْعة.. اللعنة.. السلاحف تجعل المسافات تتناسل.. سأصل العام القادم.

4

... يبدو قويًّا هذا الجندب الشاعر.. لا يكفُّ عن الإنشاد لحظةً واحدة.. يُعذّبني بغنائه..! أنا لا أعرف من أين يحصل الشعراء على قُوتِهم.. الواحد منهم يتسلَّق غصناً.. أو يجلس فوق صخرةٍ تحت الظل.. أو حتى تحت المطر.. يتأوَّه.. يفتح ذراعيه على اتِّساعهما.. ويشرع في الإنشاد وكأنه حاز العالم بأسره.. إذا حلَّت عليك العَشيّات الشتائية.. التي تتنفَّس برداً لاسعاً ينخر العظام.. وأنت بلا عَشاء فدع القصيدةَ تنفعك.. أو اذهب إلى النملة مرتعشاً مقروراً.. متسوِّلاً..

لتطردك كعادتها ساخرة: (في وَان الحصيدة .. تشغلك القصيدة).. ألا تعلم أنَّ النملة تجمع القَشَّ حتى على ضوء القمر..؟!

5

... أخيراً وصلتُ إلى الصخرة.. دعونا نُعاين المكانَ أولاً: صخرة رمادية.. كامدة.. مُبقَّعة بالأسود.. بالإضافة إلى ترسُّبات الكِلْس الأبيض الذي يشوبه الأصفر.. وهناك بعض النمش الأحمر.. يا إلهي لماذا تُريْقُ كلَّ هذه الألوان في طريقي..؟! هل عليَّ أن أُغيِّر لونَ جلدي في كلِّ خطوة..؟! لا بأس.. جنادب السفح المقابل تستأهل العناء.. هل أسمعُ أحداً يَعِيْبُ كثرةَ التلوُّن..؟

6

... لماذا يَعْبر هذا (البورقَيْص) من فوقي مباشرة..؟ هاهو يرفرف صارخاً كعادته.. أنا أعرفه جيداً.. سيظل ساكناً في السماء.. أيُّ حركة ستكون مرصودة.. حتى ظِلال الظهيرة تقلَّصت.. انزوت في الأسافل.. أُحسُّ بأَكَلان في مُؤخِّر رأسي.. أيُّ عالم هذا الذي نعيش فيه.. الواحد لا يستطيعُ حتى أن يحكَّ رأسه.. سأصل إليكَ أيها الجُندب الشاعر.. سأصل إليكَ أيها البورزِّين ولو تلوَّنتُ بألف لون.. كم أحسد الشعراء.. فهم يواصلون الغناء رغم كلِّ شيء.. يا لَسوء الطالع.. ها أنا عالقة.. عينٌ في السماء.. إلى بورقَيْص الذي يسكن فوق الريح.. فهو يمتلك سُلطة الأجنحة.. وعينٌ في الأرض حيث الأفعى تتثنّى في

الظلّ.. تحت طبقة التراب البارد.. فهي تمتلك سُلطة السُّمّ.. الهداهد تتمتّع بالألوان للزينة.. أو للإغواء.. أمّا أنا فإنني مُدجَّجة بالألوان للتخفّي.. انظروا كيف تغدو الألوان نوعاً من السُّلطة.. الحجر تحت أقدامي يلذع.. هذه الظهيرة يبدو أنها لن تنتهي أبداً.. حتى الزمن قد ينتصب كُتلةً متجسِّدة تجتاحُك رغبةٌ مُلحَّة في زحزحتها.. مثل هذه الصخرة اللاذعة التي تسدّ مجرى السيل.. لم أعد أُدْركُ إن كانت هذه الصخرة مكاناً أو زماناً.. اسمعوا.. اسمعوا كيف تَتجاوب الغابة بغناء جنادب الظهيرة..!

***

(2002)

مَسْأَلةُ وَقْتٍ فَقَط

ا

... اعتزلوا.. لاذوا بالجبال.. اختاروا كهفاً لا يُعرَف آخره.. ساروا فيه أياماً.. أقصد ليالي.. أو بتوصيفٍ أَدَقّ (زمناً طويلاً مظلماً).. يتلمَّسون الجدران.. كانوا سبعة ثامنهم كلبهم.. تاسعهم هاتف نقّال.. وعاشرهم كمبيوتر محمول.. وفي آخر النفَق ينبثق شعاع الشمس من مكانٍ ما من سقف المغارة.

ل

... جلالة الملك يرتدي بذلة الجنرال.. حتى إنّ الرعيَّة تحار في تسميته.. يخطب بحماس كعادته.. يلوِّح بقبضتيه في الهواء حيناً.. يدقُّ الطاولة بكفِّه أحياناً أخرى: (وفي الخطة الخمسية القادمة ستتمكَّن من صناعة الجُبنة البيضاء.. إنها مسألة وقتٍ فقط).

و

... الكلب يبسط ذراعيه تحتَ خيط الشمس الساقط من السقف.. يقف.. يتمطَّى.. يتثاءب.. يرفع رجله.. يبول.. يرفع أنفه.. ينصب أُذنيه.. ينبح.. تتجاوب المغارة.. يَستيقظ أهل (الكاف).. يتساءل أحدهم ناظراً إلى الكمبيوتر العتيق.. وإلى العشب النامي الذي يؤطِّر مضاجعهم:

- كم لبِثنا..؟

- لبِثنا يوماً أو بعض يوم.

- ابعثوا أحدكم بنقودكم هذه إلى المدينة.. لينظر إن كانت لا تزال سارية.

ع

... يدخل السوق.. ينظر إلى النقود المتداولة.. يسأل:

- هل هناك من يشتري العُملة القديمة..؟

- هذا يتوقَّف على قِدَم العُملة.

يُخرج الأوراق النقدية..

- أوه.. هذه الأوراق عمرها ألف عام.. تحمل رأس الجنرال في

شبابه.. لا تُقدَّر بثمن.

د

... يتَّجه إلى الساحة العامة.. جلالة الملك ببزَّة جنرال أشيب.. مُثقَلة بالأنواط والأوسمة.. فهو قد خاض الكثير من الحروب: حرب الخليج.. حرب الصحراء.. حرب الأودية والمستنقعات.. وحتى حرب الكهوف.. لا يثنيه شيء عن تحقيق أهدافه.. مرَّة واحدة رأى حذاءً مقلوباً فأجَّل زيارته للصين..! يخطب بالحماس ذاته.. يدقُّ الطاولة بعكّازه: (وفي الألفية القادمة سنتمكَّن من صناعة الجُبنة البيضاء.. أعدِكم بذلك.. إنها مسألةُ وقتٍ فَقَط).

***

(2001)

امرأة حافية

1

... المساء هبط باكراً بفعل غيمةٍ داكنةٍ تتمدَّد على مساحة الأفق الغربي.. الطريق الزراعي يبدو خالياً في هذا الوقت.. بدأتْ تُرذِّذ.. رَشّات متفرِّقة كبيرة تنقر سطح السيارة.. تضرب الزجاج الأمامي.. تتمدَّد.. تتعرَّج.. يُديرا لمَسّاحات.. يسير بسرعة خفيفة محسوبة خَوْفَ الانزلاق.. البرق يُضيء حوافّ الغيمة السوداء.. وَجْهُ ذئبٍ يُطلّ من فوق الصخورا لمُشرفة على الطريق.. يُدير رأسه مُتتبِّعاً السيارة.. ومن الراديو يأتي صوت الأغنية هادئاً:

يا دُوْب رَدّ السّلام..

ودَّعْني وغاب في الزّحام.

2

... يشتدُّ رَخّ المطر.. يغيب صوت الأغنية الهادئ تحت الوقع المتلاحِق .. يُضَيِّق عينيه .. يُركِّز نظره محاولاً الحفاظ على موازاة حافة الإسفلت .. تحت وميض البرق تظهر امرأة على الجانب الأيمن

من الطريق .. يدوس الكوابح .. يتجاوزها زاحفاً .. لحظة سطوع البرق يَعبُر وجهها من خلف الزجاج المُخطَّط بالمطر.

- يا الله..! هل بدأت السماء تُمطر نساءً..؟!

يتوقَّف.. ينظر في المرآة.. يلتفت خلفه.. ينْزل مُتردِّداً.. الضوء الخلفي الخافت يُضيء نصفها السفلي.. حافية..؟! الكتفان والرأس خارج نطاق الضوء.. يخلع معطفه.. يضعه على كتفيها قائلاً بهدوء:

- أنتِ مَقْرورة تماماً.

يفتح الباب الخلفي.. تركب.. يتباطأ في إغلاق الباب.. فستان شفّاف.. يلتصق بجسدها بفعل البلَل.. شال أزرق على الكتفين.. شعر أسود ينسدل دون عناية.. مُشبع بقطرات المطر التي تنْزلق مع أطرافه.. تضمُّ ذراعيها إلى صدرها.. ترتعش.. هل يبدو عليها أثر اغتصاب..؟

يمسح طبقة البخار اللاصقة بالمرآة.. يُديرها إلى الأسفل قليلاً.. تغوص السيارة داخل بركة.. تتطاير المياه على الزجاج الأمامي.. تُقَطِّع.. ترتجّ.. تنطفئ.. يُحاول إدارة المُحرِّك عدة مرات.. ينْزل.. يفتح غطاء المُحرِّك.. يعكس الضوء بملابسه.. يهزُّ رأسه:

- أنا لا أفهم في السيارات.. سنبقى هنا حتى يمرَّ أحدهم.

يفتح الباب.. اختفت..! يتلفَّت.. يُصيخ.. أي وَقْعٍ لخطواتٍ

امرأةٍ حافية..! يراها في الجانب الآخر من الطريق.. تجمع الحطب.

3

... السماء صافية.. رائقة.. لا أحد يُصدِّق أنّها كانت تُمطر منذ قليل.. القمر ينشر نوره بالتساوي على كلّ الأرجاء.. الصخور النديّة تلمع عبر المساحات التي ينحسر عنها الظِّل.. اللهب ينعكس فوق وجهها الذي بدأ يُشعُّ دفئاً وهي تَقْتَعِدِ الصخرة.

... حاول جَرَّها إلى الحديث:

- الليلة صافية.

بسطت راحتيها فوق اللهب.. غاب وجهها في الظل.. سألتْ:

- متى تصلح السيارة..؟

ضحك:

- عمري ما صلَّحت شَيّ في حياتي.

تجهّمتْ.. أحسَّ بأنَّ دُعابته غير موفَّقة:

- قولي لي..

استبَقتْه:

- أعرف.. ما الذي يجعل امرأة تقف وحيدة.. حافية.. على قارعة الطريق في هذا الليل.. وفي هذا المطر..؟

انتظَرَ مترقِّباً.. كانت تُتابع الجمرة التي تدحرجت خارج النار.

مدَّت ساقيها.. سحبت الفستان إلى الأسفل.. وضعت الشال على رُكبتيها.. خشخشت الغابة.. مِن بين الأفرع برز وجه ذئب أَرْبَد يتشمَّم الهواء.. عَبَرت بُومة من فوقهما مباشرة.. رفعت رأسها بهدوء مُتتبعة طيران البومة الصامت.. أتاح له ذلك تأمُّل أهدابها الطويلة.. وعنقها الذي يُضيئه اللهب.. لاحَظَ أنَّ السُّحُب بدأت تزحف على القمر.

لم ينتبه إلاّ والنار تصعد فجأة.. وتطال أطراف الشال.. انتزعه.. ألقاه بعيداً قطعةً من اللهب.. تتموج في الفراغ.

عاد إلى الجلوس.. لم تكن فَزعة.. الشال يحترق.. اللهب يسري في الأطراف.. يُشكِّل هَالَة حول الدخَان المتصاعد بانحناء.. قال:

- كلٌّ شيء يتعلَّق بالنساء سريع الاشتعال.

- هذا غَزَل..؟

- يَعْني..! النار على كل حال شديدة الشبة بالمرأة.

- ما وجه الشبه..؟

- الاشتعال.. الدفء.. و...

- التقلُّب.

ابتسم وهو يلتفت.. قال مُندهشاً:

- وَيْن الشال..؟

- احترق.

- وَيْن الرماد..؟

في تلك اللحظة بدأت تُمطر.. احتميا تحت شجرة العَرعَر القريبة.. يُنصتان إلى خشخشة المطر داخل الغابة.. لم يسبق له أن أحسَّ بهذا الحضور الطاغي لامرأة.. قالت:

- لا شك أنَّ آدم وحواء قد عاشا هذه اللحظة.. يستذريان تحت شجرة واحدة.

أحسَّ بدفء جسدها الضاجّ تحت البلل.. فاجأته حينما أخذت تُدندن الأغنية:

يا دُوب رَدّ السلام..

ودَّعْني وغاب في الزحام.

تذكَّر جيداً أنه أقفل الراديو قبل أن تظهر له على الطريق..!

4

... ضوء سيارة قادم من بعيد.. توقفت مُحدثةً ضجّة كبيرة.. خيوط المطر تقاطعت غزيرة مع مواشير الضوء.. قال السائق وهو يُنْزل الزجاج مُغضِّناً وجهه:

- بالنسبة للبَنْزين.. يا دُوب عندي ما يوَصّلني.

رأى شبحَها تحت الشجرة المجاورة.. صَفَّر وهو يهزّ رأسه.. تصفيرة خافتة ذات دلالة.

- أحْسِن الظَّنّ.

أخذ يعدُّ على أصابعه:

- راجل.. وليّة.. وحدهم.. وليل.. وغابة.. ويقول لك أحْسِن الظَّنّ..!

ضحك ضحكاً مكتوماً أشبه بالشخير. وردَّد وهو يرفع غطاء المُحرِّك:

- قال لك أحْسِن الظَّنّ..!

5

... أشارت إلى المنعطف:

- من هنا.. أول بيت على اليمين.

تبعها بنظراته حتى دفعت الباب.. وفي اللحظة التي أراد فيها الانطلاق.. تذكَّر أنَّ جميع أوراقه في جيب المعطف.

طرق الباب..

- ورطة..؟ لا أعرف حتى اسمها.. أنا طبعاً محظوظ. أكيد هي اللي بتفتح.

أطلَّ رأس أشيب في ملابس النوم.. تثاءب.. واضعاً يده على فمه.

- عفواً.. أنا مُحرَج.. المرأة اللي نزلت توّا كانت تلبس معطفي.

نظر إليه بارتياب:

- فجر تقريباً.. ادخل.. ادخل إذا كنت تبّي معطفك.

6

... كان جالساً على كرسي في المدخل.. يحكُّ كفَيَّه ببعضهما.. وينفخ فيهما.. تطلَّع إلى الإطار المعلَّق في الزاوية.. صورة بالأبيض والأسود.

- يا الله.. هي هَذي.

في تلك اللحظة دخل الأشيب بالقهوة.. فبادره:

- المرأة اللي نَزّلتها هي هَذي.

- الله يرحمها.. ماتت من عشر سنوات.

- من عشر سنوات..؟!

- الله يرحمها.

- أنا متأكِّد أنّي نَزّلتها من لحظة.

قال ببرود وهو يُناوله الفنجان:

- معطفك تلقاه عَلى القبر.. في ركن الجَبّانة الشرقي.

7

... الفجر شاحب.. الضباب كثيف راكِد.. عصفورٌ فوقَ السُّور يُنظِّفُ رِيْشَه.. كان جاثياً بجوار القبر المكسوّ بالأعشاب الندِيَّة.. المعطف مَطويٌ بعناية على صخرة عند جهة القدمين.. الحلازين العالق بصدَفاتها الطَّلّ تنْزلق فوق الصخور.. خنفساء سوداء مُنقلِبة على ظهرها وسط الأشواك التي تُؤطِّر القبر.. الشاهِد رُخامة طويلة.. خالية من أي أثر.. لا اسم.. لا تاريخ.. تتبَّع بنظرهِ دروب الحلازين اللامعة.. وإطار الأشواك.. والحركة الدؤوب لأرجل الخنفساء التي تَجْهَد للتشبُّث بالفراغ.. نهض.. أخذ المعطف.. ألبسَه للشاهِد.. سَوَّى الكُمَّين والياقة.. وضع يديه على مؤخّر العنق.. مرَّر راحتيه ببطء فوق الكتفين المُبلَّلتين.. احتواهما.. ضمَّهما.. ضغطهما.. ثم غادر المقبرة.

مِن فوق حافَّة السُّوْر ظهر الذئب الأرْبَد.. مُتتبِّعاً خطواته.. لاعقاً الندى على جانبي فكَّيه.

***

(2002)

السَّقف

(إلى أحمد إبراهيم سعد)

(وُلِدت هذه القصة يوم مَولِده)

س

... أنا – وأعوذ بالله من كلمة أنا – عامل سقوف.. تعدَّت شُهرتي إلى القُرى المجاورة.. لستُ سَقّافاً للبيوت فقط.. بل للحظائر والزرائب ومراح الأغنام.. وحتى لِقنّ الدجاج.. فأنا مُتخصِّص في شيء اسمه سَقْف.. الخَرساني.. القرميدي.. الصفيحي.. المُسَطَّح.. المُحَدَّب.. المُتحرِّك والثابت.. والقِبَاب أيضاً.. الكبيرة كقِباب المساجد.. والصغيرة كقِباب الأولياء.. بل حتى من الناحية اللغوية.. فأنا قتلتُ السَّقْفَ بحثاً.. فمِن تقليبات الفعل (سَقَفَ): فَسَقَ: والفسوق لُغةً هو خروج الرُّطَبَة من غِشائها.. فالفسوق هو الخروج عن سَقْف الطاعة.. ومن التقليبات أيضاً: فَقَسَ: فالبيضة تُشكِّل السَّقْف الذي يحمي الطائر.. و(السّقَف) في اللهجة الليبية هو عُشّ الطائر الكبير.. كالعُقاب والحدَأة والغُراب.. ويبدو لي أنَّ معنى السَّقْف جاء

من هنا.. فهو يعني الارتفاع.. كأعشاش الطيور الكبيرة المركوزة في أعالي الشجر وحواف الأجراف الصخرية.. والسَّقِيفة هي المكان المَسقُوف الذي لا جُدران له.. لكن دعونا الآن من القاموس.

ق

هناك بعض السقوف تُحيِّرني.. تُربكني.. لا أحبُّ التعامل معها.. كسقْف الوظيفة.. فأنت عندما تدخل مؤسسةً ما طالِباً وظيفة.. يقول لك المدير دون أن يلتفت إليك:

- السَّقْف الوظيفي ما يسمحش.

فتنظر إلى فوق.. إلى السَّقْف.. فتُبهرك الثُّريّات.. تفتح ذراعيك على اتساعهما.. وتمضي دون أن تفهم.

... هناك سَقْف آخر ألعن.. هو سَقْف الإنتاج.. فهو يعلو ويهبط.. شيء لا تستطيع الإمساك به.. أو حتى لَمْسه.. وهناك سَقْف للزواج أيضاً.. فأنت لا تستطيع أن تتزوج أكثر من أربع نساء.. أعني مهما كانت فحولتك.. لكن دعونا من هذا.. واسمعوا ما حدث معي في مركز الشرطة.. فقد طلب مني السيّد رئيس المركز أن أُرَمِّم سَقْف السجن.. فهو.. كما يقول.. عبارة عن بُرْج قلعة منذ العهد الإيطالي.. والإيطاليون ورثوه عن الأتراك.. والأتراك ورثوه عن الرومان.. والرومان قالوا بأنه تَرِكة من تَرِكات الإغريق.. ويُقال أيضاً بأنَّ فرسان القدِّيس

يوحَنّا قد استعملوه أيضاً.. حين غزَوا بلادنا في العصور الوسطى.. فلا شكَّ أن سَقْفه قد اهترأ بفعل الشتاءات الباردة والجليد.

ف

... كان السجن مُكتظًّا.. يسندون ظهورهم على الحِيطان المُتقشِّرة.. يضمُّون رُكَبَهم إلى صدورهم.. يتقفقفون.. وينشقون بأنوفهم.

لسعني البرد أيضاً.. رفعت رأسي.. تبدو الجدران لا نهاية لها.. ذاهبة في السماء كَطَعْنة.. تسلَّقَتْ عيناي الجُدران إلى حوافِّها العُليا.. فتبيَّن لي أنَّ السجن لم يكن له أيّ سَقْف أَصلاً.

***

(2002/8/3)

البِرْكــة

1

... غِبّ المطر ظهرت بِركة في أسفل الوادي.. كَدِرة تميل إلى الاصفرار. تجوب سطحَها الأوراقُ الذابلة والأعواد.. تحفُّها الأجراف الصخرية.. وتضجُّ بزغاريد الضفادع.. لم نُعِرْها اهتماماً.. فالمستنقعات تتمدَّد في السهول والأودية عَقِب شآبيب الخريف.. مع الأيام بدأت تصفو. لاذَ الكدرُ بالقاع.. سكن الطين.. الأوراق والأعواد انزاحت إلى الأطراف.. شكَّلت إطاراً داكناً مُتعرِّجاً وسط بياض الصخر. غدت أكثر صفاءً في ضوء القمر. صفاء غير مألوف.. الرّعيان أول من تحدَّث عن ذلك.. قال مَرْعي:

- بِركة غريبة.. صافية زَيت.. رَقْرَاقة.. تشوف روحك فيها عريان ..!

ضحكنا للمبالغة.. لكنّ مَرْعي أقسم بالله.. أنّه رأى نفسه عارياً في البِركة.. عارياً كما ولدته أمه منذ أربعين خريفاً تحت شجرة خَرُّوب دَكَر.

قلتُ مُتشكِّكاً:

- كنت عريان..؟

فحلف هذه المرَّة بتُربة أُمِّه.. وبكل المُرابطين.. أصحاب القِباب البِيض والرايات الخُضر. أنه كان يرتدي معطفاً أسود.

لم أستسلِم .. فقلتُ:

- أنت مع أغنامك في الأودية.. لا تنقصك على كل حال عوامل التعرية..!

2

... تبعتُ الراعي.. سَحَرة هؤلاء الرعاة.. من الذي يستطيع أن يطرق هذه الدروب الخفيّة سواهم.. كنتُ في أعماقي أُصدِّقه.. أشرفتُ على حافة الجُرف الصخري.. بياضه لا يَخفَى في العتمة.. أشفاق القمر تُضيء أعالي الغابة.. لم أَرَ شيئاً غير مألوف رغم شفافية الماء.. التفتُّ إلى مَرْعي.. بادرني قائلاً:

- انتظر ارتفاع القمر.

3

... في ضوء القمر الأبيض المنعكس على السطح الساكن.. لاحَ جسدانا عاريين..

يا اللـه.. أيّ مرآة هذه..؟! استغرقتني الدهشة.. بينما وقف

مَرْعي فوق الصخور مُستعرِضاً عُريه من كل الزوايا.

... منذ ذلك الحين وأهل قريتنا.. دون استثناء.. يتسللون في ليالي القمر إلى جَوْف الوادي...

***

(2002)

الشّاعِر

1

... الشاعر (الفَحل) يُثير الدهشة.. ينتزع التأوّهات.. يوقّع على الحقائب.. والملابس.. والقبعات.. تزدحم أماسيه بالمعجبات خاصة.. دواوينه تحت الوسائد.. يحفظن قصائده.. فهي الغاية في الاختزال.. والتكثيف:

(الحبلُ الذي قفزتْ فوقَه كلُ بنات الشارع..

مُعلّقٌ في آخر الضجيج مِشنقةً لجروٍ يعوي..

وسط ضحك الأطفال..!).

يعلو صوت من داخل القاعة:

- انظروا إلى الحبل كيف يكون مصدراً للفرح وللموت..؟!

يمضي الشاعر:

(بائعةُ الياسَمين الصغيرةُ..

تُشْهِر في وجهِ الدبابةِ..

يدَها الْمُزهِرة).

- أرأيتم كيف يُعبِّر عن رفضه للحرب بعيداً عن المباشرة.. وانظروا إلى وقع الفعل (تُشْهِر) في هذا المشهد.

يهمس الشاعر:

(شرفاتٌ موارَبة..

تهذي برذاذ الغسيل).

- لاحِظوا انتزاع الصُّوَر من اليومي.. والارتقاء بها فنياً.. الصورة حلوة.. هذيان الرذاذ.. ويظل المعنى الخفي في جوف الشاعر.

2

... ازدحام في ممرات المستشفى.. اكتظت الحديقة.. لا موطئ قدمٍ في الساحة.. يخرج الطبيب:

- اطمئنوا.. الحادث بسيط.. رغم تحطُّم السيارة.. وكثرة الدماء النازفة.. أؤكِّد لكم بأنَّ شاعركم لا خطر عليه.. حتى إننا لم نحمله على النقّالة.. بل دخل المستشفى ماشياً.

تردَّد قليلاً.. ثم أضاف:

- سنجري عملية جراحية بسيطة.

- لماذا العملية..؟

اختفى الطبيب.. تردَّد السؤال:

- لماذا العملية..؟

3

... كثر الهمس.. والتلفُّت.. سرت الوشوشات:

- لا.. لا تقل ذلك.

- هل من المعقول أنَّ الشاعر فَقَدَ عضوه..؟!

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

- يا خسارة..!

4

... خفَّ زحام الممرات.. رويداً رويداً بدأت الساحة تخلو.. تسللت معجبات الأمس المتأوِّهات.. وبدت لهن قصائد الشاعر أكثر اعتياداً.. وبروداً..![*]

(2002)

(*) المقاطع الشعرية الواردة في هذه القصة للشاعر الليبي: سالم العوكلي .. من ديوانه (مقعد لعاشقين).

الطــاقيّة

1

... ظهـيرة قـائظـة.. السـراب اللامـع المـتموج يـبدو في نهايـة الشـوارع الـتي تفـتح عـلى الحقـول.. الأشـجار سـاكنة.. إطـارات السيارات تُحدث صريراً حادًّا في المنعطفات.

2

... توقفـتُ عـلى الرصـيف.. قـرب المفـترَق.. الإشـارة الحمـراء متوهِّجة.. بحثـتُ بظهري عن الظل المُنحسِر. جعلتُ من طاقيتي واقياً بيني وبين وهج الجدار.. فتحتُ أزرار القميص.

3

... هاهو أحدهم يجذب انتباهي.. لماذا هو بالذات..؟ ربما لأنه يرتدي الطاقية.. هذا قاسم مشترك.. لا بأس ببعض الدُعابة..

- معقولة لابس طاقية..؟

بدا عليه الاستغراب.. لكنه لم يردّ.

- انظر للشارع.. شايف أي واحد لابس طاقية..؟

نزع طاقيته.. لفَّها بين يديه.. ألقى نظرة خاطفة على الشارع .. ثم سأل:

- أنت متأكِّد..؟

- انظر مرة أخرى.

مدَّ عنقه.. مشَّط الشارع بنظرة فاحصة.. ذهاباً وإياباً.. رفع رأسه إلى الشرفات والنوافذ.. طوى الطاقية بإحكام.. دسَّها في جيبه.. قلب شفته.. هزَّ كتفيه.. ومضى مُتلفِّتاً.

4

... مسحتُ العرق بالطاقية.. وجعلتُ منها مروحة.. كنتُ أَجْهَد لكتمان الضحك.. ثم.. احتويتُ الشارع بنظرة مُدقِّقة..

- صحيح.. لماذا لا يوجد شخص واحد يلبس طاقية..؟

... أخفيتُ طاقيتي تحت إبطي.. وأنا أنظر إلى الإشارة الحمراء المتوهِّجة.

***

(2002)

الطَبْـــخة

ا

... (عزيــزة) تُـحضِّــر للغــداء.. بجانــبها راديــو صــغير مغطًّــىً بقمـاش مُـلوَّن شـفّـاف.. من فتحـة القمـاش يبرز هوائي مقطوع الرأس.. الراديو مركوز فوق عُلبة الملح.. يُحشرج بأغنية عن الوطن.

ل

... الحلّـة فـوق الموقـد.. الزيـت يغلـي.. سـفرة اللـوح المسـتديرة الصغيرة مُزدحمة بالمقادير: لحم.. بصل.. طماطم.. فلفل.. ثوم.. بهارات.

ح

... يـنقطع الإرسـال فجـأة.. يـبدأ البـث المباشـر مـن تحـت قـبَّة البرلمان لتشكيل الحكومة.. يُستهل بالسلام الوطني.

ك

... لحظة جلوس جلالة الملك على عرشه .. يستقر اللحم في قاع الطنجرة.

يتم الإعلان عن اسم رئيس الوزراء.. يُطشطش البصل في الزيت.

وزير الداخلية يصعد المنصّة.. يهوي قرن الفلفل في أثر البصل.

يستلم وزير الصحة حقيبته.. يتدحرج فَصُّ الثوم سابحاً.

يصفِّقون لوزير الإعلام.. تدور ملعقة الطماطم صابغةً (التقلية) بالأحمر.

و

... اكتمل نِصاب الحكومة.. استلم الوزراء حقائبهم.. عُزِف السلام الملكي.

ذاقت عزيزة طبيخها.. فاكتشفت أنها نسيت الملح.

سحبت المملحة.. فانقلب الراديو على ظهره.. لكن الحكومة على ما يبدو لم تتأثر بهذا الانقلاب.

م

... كانت تذوق الطبيخ بامتعاض..

حَرَّكتْ.. أضافت مزيداً من الملح.. رَشَّت قليلاً من البهارات.. ذاقت مرَّة أخرى.. هزَّت رأسها.. لا جدوى.. رائحة الطبخة لا تُطاق.

أهو تعفُّن اللحم..؟ أم فساد البصل..؟ أم انتهاء صلاحية الطماطم..؟ مهما يكن.. فإنَّ الطبيخ بدا أشبه بالقيء.

ة

... الكلب يتضوَّر جوعاً.. يُبصبص.. يسيل اللعاب من زوايا فمه.

كَفَأَت عزيزة طبيخها.. طاف حوله.. تشمَّم البخار الحارّ. لوى عنقه باشمئزاز.. أَقْعَى.. استلقى على جنبه.. دسَّ رأسه بين رجليه الخلفيتين.. وأخذ يلعق أعضاءه.

***

(2002)

السّجّـــادة

1

... أَسراب البَطّ المهاجر تَعبُر سماء قريتنا.. خطوط داكنة.. سِهام مستقيمة تنطلق نحو الجنوب.. أَعناق مَشدودة.. حركة واحدة للأجنحة.. لا تغريد خارج السِّرْب.. يبدو السِّرْب كطائر واحد ضخم معقوف الجناحين إلى الوراء.

... ينخفض السِّرْبُ خلال الأودية.. أتأمَّل البَطَّة التي تُشَكِّل رأس السَّهم.. جناحان أسودان.. رقبة مَطَوَّقة بالأخضر الداكن.. منذ طفولتي وأنا شاهِد على هذا العبور السنوي.

2

... عندما لمحتُ السِّجَّادة الكبيرة في المَحَلّ.. أدركت أنني سأشتريها مهما كان ثمنها.. كانت من الإتقان بحيث خشيت إن اقتربتُ أكثر أن يطيرَ سِرْبُ البَطّ الجاثم على ضفاف البِرْكة.

3

... أَزَحْتُ كل الأثاث.. أَخلَيْتُ الجدار.. عَلَّقتُها قُبالة السَّرير..

بحيث تتسنَّى لي رؤيتها أثناء الاستلقاء.

4

... ضَحىً مُشرق.. النافذة مفتوحة.. الشمس تغمر الفراش.. استسلمت لخَدَر الدفء.. وأنا أحلم بالبَطّ.

... أَيقظني رفيف الأجنحة.. البَطُّ يملأ سماء غُرفتي.. الأجنحة الداكنة اللامعة.. الرِّقاب المُطَوَّقة بالأخضر. المناقير والأرجل العريضة.. مددت يَدَيَّ.. وفي لحظة خاطفة اكتظَّت النافذة المُشرعة على السماء باصطفاق الأجنحة.

هذه أول مَرَّة يحطّ فيها السِّرْبُ العابر.. ربما بسبب الطيور الجارحة.

أخذ وضعه الاعتيادي.. سهم أسود يُوْغِل في الجنوب.. الْتفتُّ إلى السِّجّادة.. كان سطح البِرْكة يتموَّج.. دون أيِّ أثَرٍ لسِرْب البَطّ..!

***

(2003)

التُّراب الوَطَني

1

- شمُّوا التُّراب الوَطني.

قال مُعَلِّمنا ذو المِعطف الرمادي المُجَعَّد المضوغ.. بياقته المُتَّسِخة المُكرمشة.. ثم بدأ يُمَرِّر حَفنة التراب من أمام أُنوفنا.

- هذا التُّراب الوَطني.. الذي سَقاه أجدادنا بالدَّم والعَرَق والدموع.

- هذا تراب (بوعَمَايا) [1] يا أستاذ..!

- حيوان..! تموت وأنت حيوان.. خسارة فيكم حصّة التاريخ في الهواء الطَّلْق.. كُلّ ما ترونه تُراب وَطني.. هذه الأشجار.. الصخور.. الرمال.. هذا هو التُّراب الوَطني الذي أَسقط أجدادنا مِن أجله أول طائرة في

---

(1) بوعَمَايا: التسمية المحلية للخلْد.. بضم الخاء وكسرها وسكون اللام كما جاء في لسان العرب.. وهو نوع من الجُرذان العمياء يعيش في أنفاق تحت الأرض.. يكثر في الجبل الأخضر بليبيا.

حرب[1] .. ومن أجله أيضاً احتملوا التشريد في مَنافي الطليان.. والمقابر الجماعية.. والزَّجّ في المُعتقلات.. هل تعرفون معنى (الزَّجّ) ..؟

تبادلنا النظرات.. وفي لحظة واحدة ذهبَتْ أذهاننا إلى المعنى نفسه.. أَطْرَقْنا.. تظاهرْنا بتأمل (التُّراب الوَطني).. ونحن نسترق النظرات من تحت.

- شياطين..! كلمة (الزَّجّ) لا تحمل أيّ معنىً بذيء.. إنها تعني فقط (الإدخال عُنْوَة)..!

بدَأْنا نخنق الضحك.. أحسَّ مُعلِّمنا بالحرج.. قرَعنا بالعصا على رؤوسنا.. ثم تنحنح.. وقال:

- التُّراب الوَطني طاهر.. مُقدَّس.. والتفريط في حَبَّة واحدة منه خيانة عُظمى.. والولاء له هو أحد مقاييس المواطَنة.

أَغمض عينيه وتأَوَّه مُنتشياً وهو يستنشق التراب.. ثم شرع من جديد يُمَرِّر قبضته اليُمنى من تحت أُنوفنا مباشرة.. ضاغِطاً بيده اليُسرى فوق أَعناقنا.. صارِخاً:

- شمُّوا.. شمُّوا التُّراب الوَطني.. المقدَّس.. الطاهر.

---

(1) أول طائرة سقطت في حرب أسقطها الليبيون سنة (1912) أثناء الحرب ضد الطليان.

اجتاحتْنا نَوبة عُطاس.. ونحن نمسح التراب العالِق بأُنوفنا.

- عندكم ربع ساعة استراحة.. وبعدها كلّ واحد يحَضِّر كَم جُملة عَ التـُّراب الوَطني.

2

... التـُّراب الوَطني يُحاصر خُطواتنا.. يُكَبِّلها.. يخنقها.. بدأْنا نمشي بحَذَر.. على أَمشاط أقدامنا.. وداخلنا إحساس بالخطيئة.

... قبل انتهاء الاستراحة أَطْلَقْنا صرخة جماعية مُهرولين باتّجاه المُعلِّم:

- يا أستااااااذ .. العَيّل بال عَ التـُّراب الوَطنيييي..!!

خَلَع مِعطَفَه الرَّمادي.. شَمَّر كُمَّيه.. أَسرع مُلوِّحاً بعصا الزيتون:

- تعال هنا يا خَراء.. أنت اللي دَنَّست التُّراب الوَطني..؟! مدّ يَدَّك.

بعد الجلدة الأولى.. أخذ التلميذ ينفخ في كَفَّيه.. ثـمَّ ضَمَّهما تحت إبطَيه وهو يرتجف وينشق بأنفه.. وصرخ من خلال دموعه:

- الله غالب يا أستاذ.. كله تراب وَطني.. وَيْن نبُول..؟!

(2002)

الـخُروج من الغابة

1

... في البدء كان الكَلْب في الغابة...

... الذئب والكَلْبُ يُقعيان فوق الحافّة الصخرية التي تُظلِّلها الأغصان.. يراقبان الراعي في الأسفل حيث تنحسر الغابة.. ويمتد سهل مُعْشِب.. ينحني متوكِّئاً على عصاه.. يتلفَّت ناحية الأدغال.. يصفر.. يُلقي بالأحجار أمام الماعز.. ويصرخ أحياناً.

قال الذئب:

- أترى تلك العَنْز التي ولدت لتوِّها..؟ سآخذ جَدْيَها عند حلول المساء.

حَكَّ الكلبُ رقبته مُصدِراً أنيناً مُتقطِّعاً:

- سيكون هذا مثل المرّات السابقة.. يتفطَّن لك الراعي.. يُحاصرك بين الصخور.. ويُوسعُك ضرباً بعصاه.

لعق الذئب أثر الجرح على ساقه.. وقال:

- كان ذلك في القمراء.. أمّا الليلة فالأمر يختلف.

- الراعي أكثر حذراً في الليالي المظلمة.

- مهما يكن.. سأتمدَّد هنا.. وأكتفي بمراقبة ذلك الجدي حتى الليل.. انظرْ إليه وهو يحاول النهوض.. لا يزال البُخار يتصاعد من ظهره.

تثاءب الكلب ثم نهض:

- أمّا أنا فلن أستطيع الصبر على الجوع حتى المساء.. أمعائي تـُقرقِر.. سأنزل.

- في النهار..؟!

- كفانا تشرُّداً.. سأعقد صفقةً مع الراعي.

أخذ الكلب ينْزل بحذر.. صرَّ الذئب على أسنانه:

- هذا جنون.. الراعي لا أمان لـه.

- أمعائي تـُقَرقِر.

- أتتخلَّى عن الغابة..؟

- أمعائي تـُقَرقِر.

- أتتركني..؟

- أمعائي تـُقَرقِر.

- غبي.. غبي..!

أومأ الكلب برأسه إلى شجرة العَرْعَر وقال:

- سئمْتُ أكل الزّنـبْاع.

2

... عينا الذئب خلف الصخرة..

الراعي يتناول عشاءَه.. اللهب ينعكس على مؤخرة الكلب.. ووجهه غائب في الظلمة حيث يوجِّه نباحه إلى الغابة.. يقطع النباح.. يهزُّ ذيله.. يلتقط العظم.. يتمدَّد قرب النار فتضيء وجهه.. ينهض مرَّةً أخرى نابحاً نحو الظلمة.

3

... وثب الكلب إلى الناحية التي جفل منها الماعز.. اشتمَّ الرائحة.. أخذ دورة واسعة.. وفي لحظة كان وجهاً لوجه مع الذئب.

- أعرف كلَّ مساريك.

- يبدو أنَّ أمعاءك لا تزال تُقرقِر.. لا تكذب.. رأيتُ كلَّ شيء.. أهذه هي الصَّفْقة..؟!

- لم أكن أعرف معنى الدفء قبل النار.

- ألم تعد تُحْسِن العواء..؟

- الماعز لا يستأنس بالعواء.

- ولماذا تهزُّ ذيلك كثيراً..؟ هل هي عادة اكتسبتها أيضاً..؟ ثم أين وَبَرُك الرمادي..؟

- الراعي لا يحب الوَبَر الرمادي.

- كـلّ هـذا حـدث في عشـيّة واحـدة..! هكـذا إذن.. في اللـيل حارس.. وفي النهار ناعِس.

- دفء النار لا يعدلـه شيء.. سئمتُ الليالي الباردة المطيرة.. أبِيْتُ مقروراً وأمعائي خاوية.. بإمكانك أن تتبعني.. جرِّب مرَّة واحدة دفء النار.

كشَّر الذئب:

- النار مُغرية حقًّا.. ولكن ابتعد عن طريقي.

- ماذا ستفعل..؟ هل ستأكل الرِّئبَاع..؟

التفت الذئب:

- أتعرف ماذا سأفعل..؟

صمت قليلاً.. ثم أضاف:

- سأعوي.. سأعوي وأُنصت إلى صدى عوائي تُردِّده الغابة.

اتَّجه إلى الغابة.. وقال في الظلام:

- بالمناسبة.. نُباحُك مُزْعِج.

***

(2004)

الحَطّـــاب

(إلى مراجع الطلْحي)

1

... الحَطّاب يقف مُنحنياً في ظلّ الخَرُّوبَة.. يسند الفأسَ على ساقها.. يتحسَّس جسدَها الخَشِن بأصابعَ مُفرَّقة.. يرفع رأسه مُتسلِّقاً الفروع بعينين شرهتين.. نظرة تمشيطيّة حتى أطراف الأغصان.. تبدو القرون غَيْمةً سوداء تحت الخُضرة الداكنة.. يبصق الحَطّاب في كَفَّيه بَصقَتين.. ويلتقِط الفأس.

2

... صَدَى الفأس ترتجِف له الأشجار في حنايا (وادي الكُوف).. يرتعش البَلُّوط.. يتغربل الشّمَاري.. ويَلُوْذ العلَنْدَا خلف أَلواح الصخور.. مع كلّ ضَرْبَة تتساقط قرون الخَرُّوب على ظهر الحَطّاب.. وتخشخش تحت قدميه.

على حافّة الجدار الصخري المُقابل غُراب يَرْقُب لَمَعان الشَّفْرَة.. وينتفض مع صدى الضربات.

3

... الخَرُّوبة لاتزال تُلقي ظلها على الحَطّاب.. قِطَع النِّشَارة تُضيء عَتمة الظل.. وبين لَمَعان الشَّفْرَة وصدى الضَّرْبة الأخيرة ترقد قرون الخَرُّوب مُفترِشةً القَشَّ انتظاراً لأوَّل شآبيب الخريف.

***

(2004)

القَصْعَـــةَ

1

... (برّاكة) من الصفيح المتموِّج.. وقطيع صغير من الماعز في الوادي المحاذي لقريتنا.. شَكّلا حلاً جذريًّا لأزمة السكن والبطالة لكلٍّ من حَمَد وغالية.

2

... جلبت غالية معها مُصحَفاً في كيس من قماش أخضر ناعم.. رغم أنها لم تكن تعرف القراءة.. وكانت تُسمِّيه (الرَّبْعَة).. وإذا حلفت بالقرآن تقول: (وحَقّ ستين حزب طاهر).. وكانت تُقبِّل المُصحَف وهي تُغمض عينيها.

أمّا حَمَد فكان يُدندن بغناوي (العَلَم) خلف ماعزه.. يشرب الماء بالزّغْلان.. يحفظ الفاتحة مُكَسَّرة شظايا.. ويقرأ (طلع البَدرُ علينا) بإجلال مُعتقِداً أنها قرآن.

3

... إذا غضِب منها يقول لها: (يا سرافة).. وإذا غضِبتْ منه

تقول لـه: (من يوم العرْس ما شفْت غرابَيْن في صبح).. مع أنَّ أوكار الغربان في السفح المقابل.. وما أن يحلَّ المساء حتى تبدأ غالية في التلفُّت ناحية مُنحَدَر الوادي.. وتُصغي إلى دندنة حَمَد وصفيره.

4

... رغم مرور عشر سنوات على برّاكة الزوجيّة.. إلاَّ أنَّ حَمَد وغالية لم يُرْزقا بعيال.. لم يُنظَر إليهما كعائلة.. لم يسمعا أبداً أحداً يقول: (عَيْت حَمَد).. بل (حَمَد وغالية).. فقرَّر حَمَد ذات صباح جَلْب خمس شياه دفعةً واحدة إلى السوق وشراء ستالايت.. و(اللي يعيش يَشْحَت) على حَدّ تعبيره.

5

... قالت غالية لابن أُختها:

- القصعة الكبيرة هذي ليش..؟

- القصعة هذي يا خالتي هي اللي تجيب الصورة.

فرفعت وجهها إلى السماء وقالت:

- سبحان الله.. قصعة وتجيب صورة..؟!

6

- شُوف يا عَمِّي حَمَد.. هذا اسمه ريموت.. عندك أسهم.. واحد

فوق وواحد تحت للمحطّات.. وواحد عَ اليمين يعَلّي.. وواحد عَ اليسار يوَطّي.. وما لكش دعوة بالباقي.

7

... على الشاشة ظهرت ناطِحات سحاب.. غابات.. صحارى.. بِحار.. سُفُن.. قطارات.. بَشَر من كُلِّ الألوان والأعراق.. وأطفال.. أطفال.. تعلَّقت عينا غالية بالشاشة.. بدأ قلبها يدقّ بعنف.. امتلأت عيناها بالدموع.. رفعتْ وجهها إلى سقف الصفيح.. والألواح المُتصالِبة.. والمسامير الناتئة التي اتَّخذتْها معاليق.. وفجأةً تساقَط المطر.. غطَّى ضجيجه على كلّ شيء.. ولسببٍ ما أَحسَّت غالية أنَّ المطر هطل في وقته.. فعاودت متابعة التلفزيون.. حتَّى القِطّ الذي يفترش النَّطْع فتح عينيه.. انتصبتْ أُذناه.. وأخذ يراقب الشاشة..

8

... شهقت غالية وصرخت:

- رَيْت يا حَمَد رَيْت.. معيز في الستالايت.. وحَقّ ستين حزب طاهر.. معيز ومعاه كلب..!

فردَّ حَمَد بضيق:

- تحسابي المعيز غير عندك.. العالم مليان معيز.. فيه حتَّى حمير في الستالايت.. فزّي صَلّي العشاء.

- الصلاة على سيّدنا محمد.. مازال بَدري.. الليل طويل.

9

... تنقَّل حَمَد بين المذيعات.. من المُحجَّبات إلى حاسرات الأكتاف.. إلى مطربات بفساتين مشقوقة.

- قال لَك صبايا..! عَدِّي صلِّي يا غالية.

- باهي.. الليل كله عشاء.

10

... الدِّيك الذي كان مُحاذياً للبرّاكة أطلق ثلاث صيحات.. أعلن في الأولى عن طلوع الفجر.. ووجَّه الثانية إلى دجاجاته التي بدأت تُثرثر وهي لا تزال في مَجثمها.. واستغرب في الثالثة كيف ينامون رغم طلوع الفجر.. فاستيقظت غالية.. تثاءبت واضعةً يدها على فمها.. نظرت إلى الفجر المُبَلَّل خلف النافذة.. وإلى حَمَد النائم دون غِطاء والريموت في يده.. واكتشفت أنهم في تلك الليلة ناموا بلا عَشاء..!

***

(2005)

الْمِخْلاة

1

... يستلقي.. يضع المخدَّة تحت إبطيه.. يغرس مرفقيه في صوف النطع.. ويضع وجهه بين كفَّيه.

... المطر يُنَقِّط فوق السطح الصفيحي.. كان يتمنّى أن يشتدَّ تنقيط المطر ليغطّي على ثرثرة زوجته.. وحين عجز عن تحقيق هذه الأمنية.. ولم يجد ما يفعله.. أخذ يتأمَّل زوجته..

كانت بريئة من أيّة استدارات.. ممسوحة.. رأسها مركوز فوق كتفيها مباشرة دون عنق.. أمّا ما عدا ذلك فهي كزهرة الدِّرْياس.. طويلة.. نحيفة.. معوجَّة.. صفراء.. تشكو دائماً من شيءٍ ما.

انتشله صهيل حصانه أمام البيت.

2

... تحت القمر كانت تُرَدِّذ.. رفع وجهه إلى السماء مُنتعِشاً بالرذاذ.

حين رآه الحصان حَمْحَمَ وتحرَّك في مكانه.. رَبَّتَ على عنقه..

مسح على ناصيته المُبلَّلة.. وعَلَّق عليه مخلاة فارغة.

***

(2004)

العَـــابِر

(لا شيء يستنْزف الصلابة الداخلية مثل
إحساس المرء بأنه عابر)

(إيزابيل الليندي)

1

... في الصباح.. تحت الضباب السابح.. يخطو ببطء.. يقف أحياناً.. ينحني مُتفرِّساً في آثار الليلة البارحة.. التي انطبعت بوضوح على الطريق الترابي الرطب.

2

... أقدام سلحفاة عابرة بعرض الطريق.. أرجل خنفساء مرتسمة بدقة.. ثلاثة خطوط رقيقة غائرة تلتقي عند رؤوسها.. إنَّه الحجَل.. وهذه التي تبدو كورقتي سِدْر متقابلتين هي الحرباء.. وهذا أثر أفعى.. لا يمكن أن تُخطئه العين.. وآثار أخرى مختلفة لعابرين

يجهلـهم.. كانـت الآثـار مـن الكثرة والـوضوح بحيث تولَّد لديه إحساس بـأنَّ كـل عابـر يـتعمَّد أن يطـبع خطواتـه عـلى الطـريق.. حـتى ذلـك الغراب ترك مسّاراً لجناحيه المُبلَّلين حين اخترق الضبابَ منذ لحظة.

3

... استدار مُلقياً نظرةً من فوق كتفه.. انحنى مُتفحِّصاً.. دون أن يجد لخطواته أيَّ أثرٍ على الطريق الترابي الرطب..!

***

(2001)

السَّجِيْن

1

... في كل ليلة يقف بالقرب من النافذة.. يُنْصت إلى البُوم.. أو إلى كلابٍ تنبح على شيءٍ يبتعد في الظلام.. وقُبيل الفجر تستيقظ زوجته.. تقوده مِن كتفيه إلى فراشه.. تسحب فوقه الغِطاء.. تلفّ البطانيّة حول قدميه.. تُدثّره كطفل.

2

... في كُلّ ضُحى يقول لزوجته وهو يتشمَّس فوق العتبة:

- في هذه الساعة يسمحون لنا بالخروج من الزنازين إلى الشمس.

فتهزّ رأسها كشخصٍ اعتاد سماع أمرٍ يعرفه.. وتقول:

- تتذكر وما تنْعاد.

3

... بعد الغَداء يقول:

- أتعرفين.. في هذا الوقت بالذات يضربوننا.

يقول ذلك وهو يلوك بعض محّ الخُبْز الذي يغمسه في الشاي الأخضر.

4

- هذا وقت تبادل الرسائل.

تفشل أحياناً كثيرة في إخفاء غضبها.. فتردّ بعصبيّة:

- لَك سنة كاملة.. تردِّد نفس الاسطوانة..!

فيقول بهدوء.. كأنَّه لم يسمعها:

- كُنّا نتبادل الرسائل بواسطة الخيوط من فوق الزنازين أو من شقوقٍ في الجدران.

5

... كعادته يقف بالقُرب من النافذة.. ينظر إلى القمر وراء الأشجار.. يُنصِتُ إلى الأصوات الليليّة.. إلى الكلاب التي تنبح على أشياءَ تبتعد.

كانت تجلس وسط السرير.. تحتضن الوسادة.. تُطَوِّق رُكبتيها بذراعيها.. تنظر بحنان إلى ظهره الغارق في الظلمة.. إلى كتفيه اللتين يُضيء أعلاهما القمر.. منذ عام لم تجرؤ ليلةً واحدة على أن تُذكِّره بفراش الزوجيّة.. كان قلبها يحدس بالشيء المخيف الذي حدث في السِّجن.

قالت بنبرة يشوبها الخوف:

- بعد أيّام يبدأ الشتاء.

قال دون أن يلتفت إليها:

- حين يحلّ الشتاء يُغرقون الزنازين بالماء البارد.

مرَّت فترة صمت.. استلقت على جنبها.. سحبت الغطاء على وجهها.. تكوَّرت على نفسها واضعةً رُكبتيها في صدرها وهي ترتجف.. هل كانت تبكي أيضاً..؟ كان يُمكن ملاحظة اهتزاز كتفيها تحت الغطاء.. بينما ظلَّ هو واقفاً ووجهه إلى النافذة.. ينظر إلى القمر من خلال القضبان.. وظِله الباهت ينطرح على أرضية الغرفة.. ويصعد متكسِّراً فوق السرير.

***

(2005)

طَرِيقٌ تَحت أَعْشَاش الطيُور

1

... أشجار العَرعَر مُلتفَّة الأغصان.. مُثقَلة بالزِّنْباع الأخضر.. حُبلَى بالأعشاش.. تنهض من وسط الصخور التي تُؤطِّر طريق (وادي الكُوْف).. الأعشاش مركوزة بين الأفرع المُمتدَّة التي تُظلِّل الإسفلت.

2

... تزدحم الأعشاش بالمناقير المفتوحة.. بالأجنحة التي ينحسر عنها الزَّغَب.. العصافير تصعد فوق الأعشاش.. تتقافز بين الأغصان.. ترفع رؤوسها إلى السماء الزرقاء المُتعرِّجة بتعرُّجات الوادي.. تُجرِّب أجنحتها تحت إغراء الفراغ.. تخذلها الأجنحة.. تسقط لاهثةً فوق شريط الإسفلت الأسود الساخن.. دون اكتراثٍ للهدير الآتي من خلف انحناءة الطريق.. تُحاول الطيران مُجدَّداً.. تصطدم بالجدران الصخرية الملساء.. لا تجويف.. لا نتوء يمنحها مرحلية الصعود.. لا شِبر فُسحة بين الإسفلت وبين الجدار.. تسقط ثانيةً.. ومن خلال الضجيج القادم من بعيد.. الضجيج الصارخ لاحتكاك الإطارات بالإسفلت

الخشِن.. لا يبدو سوى الطريق الأسود المَزْرُور بين حافتَيّ الصخر.

***

(2002)

تَفْـــكيك

1

... دَبّابـة مَـثقوبة الإطـارات في طـرف الـنجع.. عـلى واجهـتها الصليب المعقوف.

2

... يـتحَلَّقون حـول الدبابـة.. يطوفـون.. يلمسـونها.. يتحسَّسـونها بأصابع شَرِهة.. ثم يشرعون في تفكيكها.. طَرْق.. شَحْذ.. نداءات صارخة.

3

... حُمـرة الغـروب لاتـزال عالقـة بأطـراف السـماء.. اللـهـب يصّـاعد عموديـاً.. يستعرضـون غـنائمهم عـلى ضـوء الـنار: الإطـارات أحذيـة رجالـية خشـنة.. ماسـورة المدفـع سـاقية لـلحَوض.. القَضـبان مزامير صـادحة.. والقنـابل.. القنابل مِدَقّات حِنّـاء.

لم يبقَ سـوى بُـرج الدبابـة مُنكفِئاً بيأس.. يصعد فوقه الأطفال بضوضاء مَرِحة.. مع بروز مشروع إمكانية تحويلـه إلى قِنّ للدجاج.

***

(1996)

شَفـــافية

1

... السيارة أمام البيت الرخامي ذي الطابقين.. السائق يمسح زوايا الزجاج الأمامي التي لا تطالها المسّاحات.

2

ارتدى بذلته الزرقاء المكوية بعناية.. قال يُحدِّث نفسه:

. القميص الأبيض سيكون لائقاً مع البذلة.. خاصة مع رباط العنق الأزرق.. فتبدو اللبسة بهذا التبادل: أزرق.. أبيض.. أزرق.. فإذا أضفنا الحذاء الأسود اللامع فإنني دونَ شَكّ سأسرق الأضواء هذا اليوم.. يبدو أنّ الأضواء بدورها تتطلّب سرقة..!

فرقع أصابع يديه.. وقف على مشطَي قدميه وفرقعهما.. ثم فرقع عنقه أيضاً.

- لا بأس لو تأخرت.. خَلِّيْهم يَرْجَوا.. فالاجتماع لن يبدأ بدوني على كل حال.. سيبقى الكرسي على رأس الطاولة شاغراً.. وهم ينظرون إلى ساعاتهم قلقين.. وعندما أفتح الباب سيلتفتون جميعاً ناحيتي.. يا لها من لحظة..!

مسح على صلعته قبل أن يتقدَّم ناحية المرآة.

- للصلعة إيجابياتها.. فهي تُريح من عناء التمشيط.

وقف أمام مرآة المدخل.. مسح عينيه.. ضيَّقهما.. مسح المرآة بظاهر يده.. نفث البخارَ على سطحها.. لكن لا أثر لصورته.

- ما هذا..؟! ما الذي أصاب هذه المرآة اللعينة..؟ كيف تكون ساطعة إلى هذا الحَدّ.. تعكس كل شيء.. الساعة الحائطية.. المزهرية.. شجرة الرمّان التي تهتز خارج إطار النافذة.. بل وحتى هذه الذبابة الحقيرة التي حامت حول صلعتي وحطَّت لتوِّها خلفي على الجدار.. والتي يُفترَض أن أحجبها بكتفَيّ.. لا شك أنها الشفافية التي يتحدثون عنها..! ها أنا قد حقَّقتُها دون عناء.

جاء صوت السائق من الشارع:

- السيارة جاهزة.

نظر في المرآة نظرة أخيرة.. جثا.. نهض مرَّة أخرى.. لكن لا جدوى.

كوَّر قبضته وسدَّدها إلى المرآة.. انحنى لينظر في الشظايا المبعثرة.. تملَّكه الغضب.. فأخذ يدهس الشظايا التي لم تكن تعكس سوى الثريّا المتدلية من السقف.

(2001)

النَّـــجْع

ن

... النجعُ رَحيلٌ خَلْفَ الغَيْمِ.

ج

... النجعُ دمامِلُ صفيحٍ في قفا المدينة.

ع

... الغيمة التائهة تمسح الخلاءاتِ الشاسعةَ بحثاً عن نجعها.

***

(2002)

الفهْرِس

– أحمد يوسف عقيلة عقيلة.

- الميلاد : 1958 في أحد نجوع البادية بالجبل الأخضر. ليبيا.

– عضو رابطة الأدباء والكُتّـاب الليبيين.

الإصدارات:

1 - الخـيول البـيض.. قصـص.. الطـبعة الأولى 1999 الـدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.. (تُرْجِمَت إلى اللغة الفرنسية).

2 - غناء الصراصير. قصص.. الطبعة الأولى 2003 دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان.

3 - الجِراب (حكاية النجع) الطبعة الأولى 2003 دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان.

4 - عناكـب الـزوايا العُلـيا.. قصـص.. الطـبعة الأولى 2003 منشورات المؤتمر.

5 - حكايات ضِفْدَزاد.. الطبعة الأولى 2004 دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان.

6 – غنّـاوة العلم (قصيدة البيت الواحد).. تأملات.

7 - معجم الأمثال والتعابير الليبية.. جمع وتقديم وترتيب.

8 - الحرباء.. قصص.

المخطوطات:

9 - المعجم الليبـي للنفاق.

10- معجم الدلالات الصوتية الليبية.

11 - مُعجَم الكُنية في اللهجة الليبية.

12 - خراريف ليبية.. حكايات شعبية.

13 - فرح الكتابة.

14 - نـُزهة في الأرض الحـرام.. قـراءة في أدب أحمـد يوسـف عقيلة .. مجموعة من الكُتّـاب.

15 - ديوان الشاعر الشعبـي (مراد البرعصـي).

ص ب : 222 البريد المركزي . البيضاء . ليبيا .

هاتف: 0856 2299

الموقع : WWW.ALGERAB.4T.COM

E.MAIL:YOUSSOF58@HOTMAIL.COM

E.MAIL YOUSSOF58@YAHOO.COM


الحرباء
قصص قصيرة